النقـد والنـاقد

بقلم : البشير بن سلامة

لقد اهتمت « الفكر » منذ تأسيسها سنة 1955 بالنقـد والنقـاد وأصدرت أعدادا وملفات خاصة بهذا الموضوع ولم تفوت أية فرصة للحديث عنه وإثارته بكل حـدة فى بعض الأحيان إن هى لم تشر له فى كل عـدد . وأكثر من هذا فانه ليس من التجوز إن قلنا : إن كل عدد من هذه المجلة يحمـل فى طيـاته بأبوابه القارة وغير القارة وبمقالاته وبحوثه ودراساته جـوانب متعـددة من النقد الأدبى .

وفى هذه الأيام رجـع الحـديث والنقاش والحوار حول النقـد الأدبـى فى تونس وكانت فرصة لتطارح الأفكار والآراء بصورة عميقة وعلمية ومثمرة فى أكثر الأحيان مما جعل الموضوع تتضح جوانبه أكثر من ذى قبـل وتفضى الى مناخ أدبى وفكرى أسلم وأنقى وأدعى الى التفكير فى البنـاء والخلـق منه الى التخريب والفوضى . ونذكر بالخصوص ندوة النقد الأدبى التى التأمت أخيرا بالحمامـات .

على أنه اذا أحسسنا اليوم بأن هناك تقدمـا فى تصور الموضوع وتوضيحه فاننا نبقى دون ما نرتجيه فى هذا المجال نظـرا الى بقـاء بعض الآراء عـالقة بالأذهان تعطل المسيرة وتثقل الخطى نحو النقد الأدبى المفيد الدافع الى الخلق والابتكـار .

ذلك أنه اذا كان من المفيد التعرف الى مدارس النقـد والتيـارات الفكـرية والأدبية التى دعمتها وأخذت بيدها ودفعتهـا الى الوجود واذا كان من الأكيد الالحاح على ما لدور وسائل الاعلام من أثر قوى فى إذكـاء روح النقـد وارساء قواعده واذا كان من اللازم الحديث عن الأدب لأنه بدون أدب فلا نقد أدبى فانه من الأصوب والأجدى الحديث عن خلاق بدونه لا يكون نقد ولا نقد أدبى .

لقد كتبنا على صفحات هذه المجلة منذ سنوات عن غياب النقـد فى تونس ويجدر اليوم أن نكتب عن غياب الناقد وتواريه لأنه اذا سلمنا اليوم بأن هناك نقدا أدبيا فى تونس فاننى أعتقد أنه لا يجادلنى أحد فى غياب النـاقد بأتـم معنى الكلمة ، الناقد الذى يشار اليه بالبنان وينتظر رأيه فى إنتاج ما .

وإننى قبل أن أحاول تحديد هذا الناقد أريد أن أعـرج على الأسباب التى جعلته لا يظهر فى الساحة الأدبية ويتوارى عن الأنظار . ولعل ما أقوله ينطبق على وضع النقد الأدبى فى العالم العربى ولكننى سأقصر تحليلى على تونس .

أول ما يضعف النقد الأدبى هو « فن » ما اسميه بـ « النكرولوجيا » وهو مشتق من مادة نكر . وأنكر ومنه النكرة ضد المعـرفة والمنكر ضد المعـروف والتناكر التجاهل . ولا يذهبن بك الرأى الى ترجمته الى الفرنسية لأنـه عنـد ذلك يعنى الاعلام بالوفاة وقد اهتم العرب بهذه المادة فتجد كتاب وفيات الأعيان والوافى بالوفيات والانكار هو ضرب من تمنى الوفاة والزوال بل هو أشد عند اعتبار الحى ميتا . وكم هو مريح الحديث عن أديب متوفى لأنه يخرج من عـالم النكرات الى عالم المعارف .

فالنكرولوجيا درجات ومراتب . أول مرتبة فيها وأقواها وأشدها نبوغـا هى تعمد الصمت . ليحدث ما يحدث فى ميدان النشر بصدور كتاب أو ظهور دراسة قيمة أو انتظام ندوة هامة فان « النكرولوجى » يجهد نفسه ويستنجد بعبقريته لئلا يضطر تحت تأثير ضغط من الضغوط الى تخطى جدار الصمت لا الصوت بالطبع إذ هو يروم أن يكون صوته خافتا فى هذا المجـال الى أبعـد الحدود أو بالأحرى أدناها . وهو بهذا يسلم من تبعة النقد أى اظهار العيوب والمحاسن ويصح تسميته بالنقـد الانكـارى ولا أخفى أن عندنـا من النقـاد النكرولوجيين من بزوا غيرهم وتجدهم منبثين فى مختلف وسائل النقد وهم بالطبع يميلون لملء الفراغ ، فراغ عقولهم ربما ، الى الافراط فى نقد ما ينتجه الأجنبى ولو كان من أتفه الانتاج . وهنا لا يمكـن ألا نعـزو هذا الى مـركب النقص الذى استولى على كثير من التونسيين وبقوا منبهرين بالغير ولا يريدون أن يصدقوا بأن لديهم من الخلاقين ما يماثل أو يفوق ما عند الغير . آفة لم تبرح الكثير من العقول وانها لم تقتصر على أنها عششت بل فـرخت بما هو أنكى وانكر » .

أما الآفة الثانية فأسميها الغفلولوجيا (بضم الغين) وهو فن إغفال تسمية الاشخاص ونقد الأثر أو التلميح اليه باتقان فـن تنسية القـارىء فى صاحب

الأثر لأن ذكر الاسم ربما فيه غرم مثلما كان يترك العرب الناقة غفلا لا توسم لئلا تجب عليها الصدقة أو من قبيل ما عرفه العرب فى الجاهلية بالنسبة الى القداح الغفل التى ليست فيها فروض ولا لها غنم ولا عليها غرم . ثم إن الاسم ليس مشتقا من وسم بل من سما وفى ذلك رفعة وسمو ونحن فى عالم الغفلولوجيا وليس من عادة اهله ولا من دابهم الدعاية للاشخاص فهم أسمى وأرفع من التدنى فى دركاتها .

والآفة الثالثة عافانا الله وإياكم هى « الهملولوجيا » من مادة همل فى قول العرب : وما ترك الله الناس هملا (بفتح الهاء والميم) أى سدى بلا ثواب ولا عقاب وفى معنى الابل الهوامل التى لا راعى لها مسيبة . وهذا الفن يبيح لصاحبه أن يتسيب بدون قيد ويأتى بعلم الأولين والآخرين ويحاول تطبيق نظرية ما أو مدرسة من المدارس أو ايدلوجيا من الايدلوجيات ولا يرتجى فى ذلك لا الثواب ولا العقاب . وتراه يخبط خبط عشواء سارحا فى ملك الغير هذا اذا هو لم ينعت صاحب الأثر بكل النعوت الدالة على العقلية الاستغلالية أو الاقطاعية أو غيرها من النعوت التى يستنكف منها الناس اليوم أو اذا هو لم يلصق بالأثر كل الحسنات ولم يضف عليه من صفات الاطراء والمدح المبتذل ما يجعلك توقن أنه ممن لا يخاف لا الثواب ولا العقاب . وإن فن الهملولوجيا لا يقتصر على الكتابة لأن هناك فريقا لا يكتبون بل هم « ينقدون » وهم قيام وقعود فى كراسيهم فى قاعات المحاضرات والندوات والمسارح ويغطون بهملولوجيتهم صوت الشاعر والمحاضر والممثل . هم من القعدة ولكن وراءهم جيشا من الفعلة . لا يجدون من يصلحهم ولا من يهديهم ، وهم مبوبون الى الهملوقراطية التى تطل بقرونها فى بعض الأحيان وفى بعض المواطن .

هذه أهم الآفات التى لاحظتها فى الساحة الأدبية ويتفرع عنها من جنسها ما هو أهون وأخف وهى لا تترعرع وتتفاقم إلا بخلو هذه الساحة من الناقد وأعنى النقاد طبعا .

والناقد الذى أعنيه هو ذاك الذى قد استوعب المدارس النقدية الأدبية العربية القديمة والحديثة وسيطر بقدرة فائقة على التيارات الأدبية والفكرية فى العالم بحيث خرج من الببغائية والقرددة والتقرد وتخلص من مركب النقص إزاء الأجنبى وشفى من نزعة إضفاء القدسية والاجلال على كل ما يأتى من الغرب أو إن شئت قل الشمال والشرق . ولا يكفى أن يكون عارفا بكل هذا المعرفة

النظرية بل يجب ان يكون مطلعا على فنون الأدب شرقا وغربا لا تغيب عنه شاردة ولا واردة ولا يتعلل بعدم إطلاع ولا قلة وقت .

والناقد الذى أعنيه هو ذاك أيضا الذى جرد قلمه من أجل النقد لا يترك كتابا يصدر ولا فرصة تمر حتى يهتبلها ليقيم فينوه بالمحاسن ويندد بالعيوب. حضوره يومى فى الجرائد والمجلات والنوادى وقلمه سيال خلاق يشعر بأن ما يكتبه ليس من قبيل البحث والدراسة الباردة الفجة بل هو يصدر من أعماقه ويخرج عن موهبة خلاقة مبدعة لا شك فيها . وعند ذلك يهابه النكرولوجيون والغفلوجيون والهملوجيون ويبتعدون من ساحته ويتضاءلون أمامه ويتهافتون ويشتفى منهم المجتمع بأكمله .

والناقد الذى أعنيه هو ذاك الذى يشعر بالحرية الكاملة من كل الضغوط المادية والمعنوية والايديولوجية لا يخاف فى الحق لومة لائم ولا يتأخر عن قول كلمة الصدق مهما كلفه ذلك من ازورار المزورين وملاحقة الطماعين الأفاكين .

والناقد الذى أعنيه هو ذاك الذى تفرغ لهذا العمل وكرس أيامه ولياليه له وضرب صفحا عن كل المغريات الأخرى وآلى على نفسه ألا يبدل به عملا آخر . وعند ذلك يستقيم العمل الأدبى ويبرز الذى صدق فى المحك ويتهافت كل دعي على الأدب وطفيلي على موائد الخلق الأدبى .

ولقائل أن يقول هذا لوصف للناقد من قبيل المستحيل وانه يعسر أن تجده فى مجتمعاتنا اذ هو يمكن أن تعثر عليه فى الامم المتقدمة التى سارت شوطا فى الديمقراطية والثقافة أما مجتمعاتنا فهى ما زالت فى طور غلبت عليه الآفات التى ذكرتها .

نعم إن الواجب يقتضى أن نمهد لهذا النوع من النقاد لا فى المجال الأدبى فقط بل الثقافى بصورة عامة والسياسى أيضا لأن المجتمع الذى تغلب عليه الاصناف السلبية المذكورة آنفا ولا يعمد الى مقاومتها ثم لا يعمل على ايجاد الظروف لابراز هذا الصنف من النقاد الخلاقين الأصيلين النابغين فانه غير جدير بالحياة .

البشير بن سلامة

حول افتتاحية العدد الماضي

« لا يا أستاذ سهيل ! »

اتصلنا من صديقنا الاستاذ أحمد الشرفي مدير مجلة العلم والتعليم برسالة معلقا على الفقرة الواردة في افتتاحية العدد 6 من السنة 25 قائلا : « إن رئيس الاتحاد وهو الاستاذ محمد مزالي وزير التربية القومية تسلطت عليه ضغوط كثيرة ليعيد ترشحه في هذه السنة واقترح احد الاعضاء وهو غير معروف « بولائه للنظام » أن يصوت الحاضرون على ترشحه بالاجماع » قال الاستاذ أحمد الشرفي وهو عضو اتحاد الكتاب التونسيين وصاحب هذا الاقتراح موضحا لكلمة « الولاء للنظام » وهي العبارة التي لم يستطبها صديقنا واعتبرها قابلة للتأويل : « إن كان (الولاء) يعني الكذب والنفاق والوصولية والدوس على القيم والمبادى والاختيارات الاصيلة لهذا الشعب فاننا لسنا من الموالين ... وإن كان يعني الانتماء للقيم وخدمة المبادى وقول الحق ولو كان مرا ، والمجاهرة بالموقف الوطني ولو كان صعبا ومواجهة التخريب ولو كان مضرا .. فاننا في مقدمة الموالين .

ولهذا فان اقتراحنا لانتخاب الاستاذ محمد مزالي بالاجماع كان انتخاب موقف وقضية لا انتخاب شخص ومسؤولية » .

ونحن نوافق الاستاذ أحمد الشرفي على هذا التوضيح ونقول : إن العبارة أخذناها من الاستاذ سهيل إدريس ووضعناها بين معقفين وهو يعني بها حسب سياق مقاله الجانب السلبي ــ طبعا ــ من الولاء.

تحية إلى مجلة الفكر ورائدها

شعر : حبيبة البورقادية
(المغرب)

راقنى الحق جليا ... « فى دروب الفكر » فيا
منتهى الوعى عميقا ... صانه الحب نديا
باقة تعبق عطرا ... أزليا سرمديا
ضخمت من دفقات المسـ ... ـك وجها قمريا
صاغه الكتاب ألوانا ... حريرا سندسيا
سربل القرطاس فكرا ... أريحيا عربيا
وأذاب القلب فيه ... رائد الفكر المحيا
هامسا هلا نفحت الفكـ ... ـر عطرا مغربيا
قلت : من لى بيراع ... يرسم السحر بهيا ؟
لأعالى الأفق يرنو ... يقبس النجم السنيا
سوف أحظى بشريف الفـ ... ـعل لو سطرت شيا
بين رواد عظام ... رفعوا الحق عليا
جعلوا الضاد منارا ... فى ضفاف الفكر حيا

بين الثقافة والسياسة

بقلم : محمد مزالي

انى مسرور جدا ومعتز باختتام هذا المهرجان (*) وبالاستمتاع فى آن واحد بهذه المحاضرات القيمة التى ألقتها نخبة من أساتذتنا الجامعيين الذين نعتز ونفتخر بهم والذين هم بصدد احياء التراث وكتابة تاريخ بلادنا كتابة علمية وأصيلة فى آن واحد .

وان ما استمعنا اليه الآن يعبر تعبيرا ناصعا واضحا بليغا عن أصالة قصور الساف وسلقطة ويبرز ثروتها التاريخية ويؤكد امتداد جذورها فى تاريخ البلاد ومساهمتها فى اثبات الكيان التونسى منذ فجر التاريخ الى الآن .

وانى لأشكر باسمكم جميعا البلدية والسيد معتمد قصور الساف وشعبة قصور الساف واللجنة الثقافية وأشكر كل من ساهموا معهم فى تنظيم هذا المهرجان وفى وضع برنامجه وضعا محكما ، بحيث أنه جمع بين الترفيه والعلم والرياضة ، واعتنى بالماضى كما اعتنى بالحاضر وبذلك مهد الى المستقبل ووطده ولعله حمس الشباب لا فقط الى الاعتزاز بجهته ومدينته وتربته بل حفزه على

(*) هذا نص الكلمة التى ارتجلها الاستاذ محمد مزالى وزير التربية القومية ومدير مجلة « الفكر » فى اختتام مهرجان قصور الساف ـ سلقطة يوم 30 أوت 1979 بعد الاستماع الى كلمات نخبة من علماء التاريخ حول المنطقة وهم الأساتذة عز الدين باش شاوش ومحمد فنطر والهادى سليم وكان حاضرا الى جانب جمع غفير من المواطنين السيد عامر غديرة والى المهدية آنذاك والسيد المازرى شقير الرئيس المدير العام للديوان القومى للتنظيم العائلى والعمران البشرى والسيد أحمد خالد رئيس بلدية سوسة والسيد البشير سلامة رئيس بلدية قصور الساف .

البحث والتنقيب والدراسة حتى يحمل المشعل الذى يمسك به قلة من العارفين والمؤمنين بهذه الجهة وكذلك ثلة من العلماء والاساتذة التونسيين .

وأستسمحكم فى أن أخص بالشكر أخى الاستاذ البشير بن سلامة الذى خصص ولا يزال يخصص جانبا كبيرا من وقته ومن مشاغله ليساهم مع زملائه أعضاء الشعبة وأعضاء البلدية بالتعاون مع السلط المحلية والجهوية فى النهوض بهذه المدينة وخدمتها بكل تفان وكفاءة فى جميع الميادين ، لا فقط فى الميدان السياسى أى فى نطاق الشعبة ، ولا فقط فى الميدان الثقافى والعلمى والتربوى بوصفه مربيا ومثقفا بل كذلك فى نطاق البلدية أى فى مستوى الحياة اليومية العادية والشؤون العمرانية والصحية . وهو ميدان حيوى لا تستقيم من دونه الحياة فى أية مدينة .

وانه لا تكاد تمر سنة دون أن أزور قصور الساف والاحظ انجازات كثيرة ذات صبغة شمولية مما أعتبره نموذجا حيا ناطقا للمنوال التنموى التونسى في جميع جهات الجمهورية . ذلك أن النهضة بالانسان التونسى نريدها شاملة لكل جوانب الحياة ساعية الى تنمية كل مدارك الانسان وسد جميع حاجاته مادية كانت أم معنوية روحية .

وهكذا نجد قصور الساف تنهض فى جميع الميادين سواء من حيث التربية والعلم أو التاريخ والثقافة أو الاقتصاد والتجارة أو التجهيز الأساسى وهذه الأعمال متكاملة لا يوجد بينها نشاز ولا تضارب ، لأن تشييد مدرسة ثانوية أو تهيئة ملعب أو بناء دار شعب كهذه التى نجتمع فيها اليوم أو تعبيد الطرقات أو اقامة مركز لرعاية الام والطفل أو مصحة للتوليد أو وضع برنامج ضخم لتطهير المدينة وصيانتها من الفيضانات ، أو تركيز النهضة الزراعية على أسس عصرية أو تنظيم مهرجان كهذا المهرجان لاحياء تاريخ المدينة..كل هذه الاعمال ضرورية لا يوجد بينها تفاوت فى القيمة ولا تضارب فى الاولويات .

اننا نريد أن يكون الانسان التونسى متكاملا ، مستكملا لكل أبعاده المادية ، والمعنوية ، والعلمية ، والروحية ولهذا أشكر وأهنىء البلدية والشعبة والمنطقة بصفة عامة لأنها اهتدت الى هذه السبيل القويمة المستوحاة من نظرتنا القومية الأصيلة .

لذلك نحن نرثى لحال التافهين المستهزئين بالثقافة المثقفين الذين كلما وضعتهم الصدفة أمام مثقف واع ملتزم ، وهو يباشر المسؤولية ، يقولون أو

يقول لسان حالهم : لماذا يتحمل هذه المسؤولية ؟ كان عليه أن ينكب على كتبه، وأن يكتب الشعر وأن يترك السياسة للسياسيين المحترفين .

ان السياسة مصدر لفعل ثلاثي أجوف هو : ساس يسوس القوم سياسة يعني دبر شؤونهم ، ونظر في أمورهم، والتزم خدمتهم بالتشاور معهم والاخلاص لهم ، وهذا ما يفعله المخلصون الأصيلون عندما ينكبون على خدمة المواطنين خدمة متكاملة منسجمة في كل الميادين . والسياسي الحسن هو الذي يقول : تلك أعمالنا فانظروا اليها ، وتبينوا هل هي صالحة أم لا؟ فاذا كانت صالحة فواصلوا مساهمتكم فيها ، وتعاونكم معنا لاستكمالها ، واذا كانت غير صالحة فانتخبوا غيرنا أو اقترحوا علينا ما قد يكون أصلح ، وما قد تكون فائدته للقوم أعم أو أنجع . أما أن ينفعل أو يستاء بعض التافهين عندما يتطوع المثقف لخدمة بلاده ويصرف ذو الكفاءة كفاءته بالفكر وبالجوارح لنفع شعبه ، فهذا سلوك غير أخلاقي عرفه التاريخ في كل حقبة من حقبه ، وتلخصه جملة قالها أحد زعماء الفاشية ، في عهدها الزاهر أي في أيام هتلر وانتشار النازية وهي « عندما استمع الى كلمة « ثقافة » أشهر مسدسي » . ولكن الثقافة ، والفكر الحي ، والعلم تنتقم جميعها من التفاهة ومن السطحية ومن الفاشية .

انما العلم والثقافة في خدمة الشعب ، وانما بالعلم والثقافة يمكن خدمة الشعب . وأكبر مثال على ذلك هو أن زعيم الامة التونسية رجل ثقافة وعلم وعمل في آن واحد ، انه مثقف لأنه جمع بين العلم والمعرفة ، وبين محبة هذه الامة والتحلي بالصفات الاخلاقية الحميدة وفي مقدمتها الصدق والاخلاص والشجاعة والاقدام والصمود وطول النفس .

وبما أننا نحتفل اليوم ضمن هذا المهرجان بيوم التاريخ ، واستمعنا الى ثلة من مؤرخينا الشبان ، فانها مناسبة لأقول ، ولا إخال الزملاء المؤرخين يعارضونني في هذا الحكم : ان الرئيس الحبيب بورقيبة اختصاصي كبير في تاريخ تونس اليوم ، ولا أعتقد أن هناك عددا كبيرا من التونسيين يعرفون تاريخ بلادهم كما يعرفه هو ، ولأنه يعرف تاريخ بلاده فقد استطاع أن يغير تاريخ بلاده الحديث وأن يصنعه صنعا ، ثم ان الرئيس بورقيبة من أكبر الأدباء ومن أكثر التونسيين تذوقا للشعر وهياما به . ولكن الرئيس بورقيبة ، مع أنه مثقف ومؤرخ وأديب ، سياسي لامع . والسياسة عنده ليست ألاعيب أو أرطماطيقة انتخابية أو فن الاحتفاظ بالحكم ، وانما هي ذوبان في الأمة ، وتفرغ لخدمتها ، وعمل متواصل لتكتيل الشعب ، والسير به شيئا فشيئا نحو العزة والاستقلال والتقدم والازدهار والكرامة .

وإذا أردتم أن تقارنوا بين السياسي المثقف ، والسياسي الامى البسيط ان صح التعبير ، انظروا حولكم ، واستقرئوا أحوال بعض المجتمعات القريبة والبعيدة عن تونس ، فى الزمان والمكان ، انظروا كيف وماذا فعل بعض الزعماء ، أو بعض المفروضين على شعوبهم بالحديد والنار ، انظروا ماذا فعلوا بشعوبهم ، وكيف انهم فقروها ، وأذلوها ، وانظروا ماذا فعل الرئيس بورقيبة السياسي المثقف بالامة التونسية ، وكيف أنه سار بها من نصر الى نصر . والواقع أنه ليس هناك تضارب بين السياسة والثقافة ، ولا بين العمل السياسي والعمل الثقافى والادبى والفكرى . وانما المستوى الذهنى . والاخلاقى هو الذى يضمن النجاعة والنجاح وسداد الاتجاه .

اذا نحن انتقلنا من النظرة العامة الى درس الوضع بقصور الساف أو فى مدينة أخرى مثل سوسة التى يرأس بلديتها أستاذ جامعى وبحاثة يوجد الآن معنا فى هذه القاعة وهو الاستاذ أحمد خالد وجدنا الحجة على ما ذهبنا اليه دامغة وظهر لكل ذى عينين زيف بعض « الواقعيين » أو بالاحرى « الوقوعيين » أو ... الواقعين فى الجب الذى يحفرونه لغيرهم ! . فهذا رئيس بلدية سوسة كاتب صدرت له الكثير من المؤلفات يعتبره بعض التافهين « مؤدبا » ولكننا عندما ننظر الى الأربع سنوات التى قضاها وهو رئيس بلدية سوسة نجد أنه وفر لهذه البلدية حوالى أربع ملايين دينار اعتمادات جديدة بفضل حسن تصرفه وبما اتصف به من شدة فى الحق . وهكذا فانه لا تضارب بين التكوين الأدبى والثقافى ، وبين القدرة على تسيير الامور والتصرف فى الميزانية ووضع المشاريع وانجازها اللهم الا اذا اعتبر « بعضهم » السياسة فى معناها المبتذل السخيف ونحن نتبرأ من هذه السياسة « الرديئة » . على أنى لا أخفيكم أن للاستاذ البشير بن سلامة عدة « عيوب » منها أنه لا يشرب الخمر ولا يحب « الأفاريات » والاعمال غير الشريفة ولا يتهاون فى المصلحة العامة وهذا ما يغضب البعض فيودون لو يبقى الاستاذ ابن سلامة فى مكتبته بين أوراقه وتأملاته ! ...

هذه اذن آراء أسوقها على هامش هذا المهرجان وأستوحيها من النهضة الشاملة التى تعيشها قصور الساف وغيرها من المدن التى يسهر عليها مناضلون أكفاء وانى لارجو أن تستمر هذه المسيرة وأن تتضافر مجهودات ذوى العزائم الصادقة وهم الاغلبية والحمد لله حتى يتواصل ارتفاع المستوى ونوفر لأبنائنا والى هؤلاء الشبان والاطفال الذين يحضر عدد منهم هذا الاجتماع الغد الاسعد وحتى نعطيهم المثال كآباء وقادة ومربين ليتحفزوا للعمل الصالح ويغاروا

على بلادهم وينذروا أنفسهم للبحث والتنقيب ... لان المحاضرات التى استمعنا اليها منذ لحظات هى اشارات الى ثروة سلقطة وقصور الساف والمنطقة بصفة عامة من الوجهة التاريخية والاثرية ومهما بذل الاساتذة عز الدين باش شاوش والهادى سليم ومحمد فنطر الذين أعتز بأنهم كانوا من تلامذتى بالمدرسة الصادقية ، فانهم لا يستطيعون الكشف عن كل الآثار ولا احياء التراث والكتابة والتدوين فى كل ما يمكن أو ما يجب الكتابة عنه وهذا يفرض على الشباب المدرسى والطلبة أصيلى قصور الساف والتلامذة والاساتذة والمعلمين الموجودين هنا وغيرهم أن يتحمسوا كل فى نطاقه وحسب امكانياته وهوايته واختصاصه ويساهموا فى تنمية هذه الثروة الفكرية والتاريخية العظيمة وبذلك يخدمون الثقافة فى هذه الربوع .

ثم ان هذه الثروة التاريخية لا تقل أهمية عن الثروة الاقتصادية . ونحن معنيون بالثروة الاقتصادية ، أى بالفلاحة والصناعة والتجارة والسياحة ويحق بل يجب علينا ذلك لكن الذى لابد من أن نعترف بجدواه كذلك هو أن تنمية الثروة الفكرية والثقافية والعلمية فى هذه الجهة وفى غيرها من الجهات لا تقل أهمية ومن شأنها أن تكون شبابنا تكوينا وطنيا أصيلا لان معرفة النفس والتعرف الى الذات والاعتزاز بها من مقومات الوطنية . فعندما يدرك التلميذ فى مستوى التعليم الابتدائى ، أو الثانوى ، أو العالى ، أن منطقته أو أن بلاده بصفة عامة ليست كما يقول المثل العامى « قطعة حبل جاء بها واد » وانما لها أصالة وتاريخ ورجال وأن هذه الأرض ليست جرداء عقيما بل هى ثرية ، فهو يعتز بها ، فتزيد ثقته بنفسه ويرفع رأسه عاليا ويستعد لمواصلة العمل الذى بدأه الاجداد ولسان حاله يقول : هكذا كان أجدادى فلأساهم فى احياء مجد أجدادى ، ولأضف اليه مجدا جديدا . وعند ذلك يؤمن بأن له رسالة فى الوطن وفى الكون .

ومن دون هذا الموقف أى ـ كما أشار منذ حين الأستاذ محمد فنطر ـ اذا استوردنا تاريخنا معلبا والتمسنا معرفة أنفسنا مما ينشره عنا غيرنا،ويتفضل به علينا الأجانب الذين كيفوا تاريخنا مثلما أرادوا بسبب المركبات الصليبية والحقد الدفين على الاسلام وعلى العروبة أو بسبب كبريائهم الحضارية،أو نعرتهم الاستعمارية التى تدفعهم الى جعلنا أمامهم صاغرين وعلى أقدامنا جاثمين ، حتى يوطدوا هيمنتهم التاريخية والفكرية ويسهل بذلك عليهم توطيد هيمنتهم الاقتصادية وهذا ما يسمى اليوم بالامبريالية ... من دون هذا الموقف نزول تماما كبشر مرشدين مسؤولين !

وانى معتز بهذه النخبة من الاساتذة الذين جمعوا بين الوعى التاريخى وموضوعية البحث وبين النظرة الوطنية الى التاريخ واستطاعوا أن يكتبوا صفحات جديدة ناصعة من تاريخ بلادنا باللغة العربية وباللغة الفرنسية فى مجلات ومنشورات تونسية وأجنبية بل وفق بعضهم حتى الى التأثير فى أساتذتهم السوربونيين ـ نسبة الى السوربون ـ وأن يظهروا لهم أخطاءهم فى حق تاريخ تونس . ومن أكبر المؤرخين الفرنسيين الاستاذ (بيكار) الذى كتب فصولا كثيرة ومؤلفات عديدة شوه فيها تاريخ تونس فى صراعها مع رومة وخاصة شخصية حنبعل ، فلما تخرج هؤلاء النخبة من أبناء تونس البررة ، وجمعوا بين التكوين التاريخى العلمى الموضوعى وبين النظرة الوطنية ومحبة تونس ، والاخلاص لها ، وبين الشجاعة والقدرة على النظرة الجديدة من خلال أبحاثهم هم لا من خلال مرآة شيوخهم لم يكتبوا الكتب التى أنصفت تاريخنا فقط بل انهم غيروا نظرة أساتذتهم فاذا بشيخهم الاستاذ (بيكار) يعيد كتابة تاريخ (حنبعل) ويعترف بأنه أخطأ فى حقه لأن شخصية حنبعل ، وملامح تاريخ تونس ، غير ما توهمه وكتبه فيما سبق له من بحوث .

هذه هى اذن الوطنية الصادقة وهذه هى الأصالة الحق ونحن عندما نتحدث عن الاصالة لا نعنى الانغلاق ، ولا التعصب ، ولا الرجوع السلبى الى الماضى ، والاكتفاء بترديده ، والذين يلصقون بنا هذه التهمة هم أيضا يستحقون الرثاء ونسأل الله ونحن فى يوم جمعة أن يغفر لهم وأن يفتح على أبصارهم ، حتى تتسع الى ادراك الاصالة التى هى اتجاه وموقف وثقافة عامة ووعى لمنزلتنا كتونسيين : أين نحن من التاريخ ؟ وما هو موقف تونس من الأمم ؟ وما هو دورنا فى موكب الايام ؟ وما هو سبيلنا القويم ؟ وكيف نتقدم ونزدهر من دون أن يستحوذ علينا الاستعمار وتسلب منا الامبريالية باليد اليسرى ما اضطرت الى إعطائه باليد اليمنى ؟

اننا من دعاة الاصالة أى أننا من دعاة تونس المستقلة ، العربية الاسلامية العصرية المزدهرة المساهمة فى صنع التاريخ المعاصر والدخول الى عام ألفين من بابه الكبير . اننا من دعاة الاصالة أى أننا نعطى محتوى حضاريا متكاملا لكل أعمالنا ، سواء كانت سياسية بحتة أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية ونوجد بينها تجانسا وانسجاما ونرسيها على جذع مشترك يشدنا الى أرضنا ، وتربتنا ، ويمكننا من التحاور مع غيرنا من دون أن نخشى التفسخ ولا الذوبان .

هذه هى إذن الاصالة ، انها جهد متواصل وبناء مستمر وتفاوض لا ينى ولا يتوقف بين الفكر الحى ، والقلب النابض بالوطنية ، وبين واقع متغير صعب ،

لا يخلو من الملابسات . والاصالة لا تعنى السلبية بل تعنى الايجابية ولا تعنى الانطواء بل هى الانطلاق الى الامام ومواجهة الصعوبات والتقحم على المعضلات وهى تعنى الشجاعة وخوض غمار الحياة كما يقول أبو حامد الغزالى خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور.والاصالة ليست اجترار الماضى ولا مجرد التغنى بأمجاده وليست أيضا التشبه بالغير ، والانبهار بأنواره الصناعية بل هى تقتضى الاعتزاز بالذات الفردية والجماعية والنخوة بالانتساب الى وطن ما ، مهما كان حجمه وموارده . ان تونس بلد أصيل له تاريخ حافل ، لا يسكنه سوى ستة ملايين من التونسيين والتونسيات فى الوقت الحاضر ولكن كل واحد منهم يصح فيه المثل العربى القديم « رجل كألف وألف كاف » وكل واحد منهم يسعى ويعمل ويكدح حتى يكون بلده أحسن حالا وأرفع شأنا وحتى يعيش أبناؤه وأبناء أبنائه حياة كريمة منيعة وحتى يسهموا فى صنع الحضارة الانسانية فالاصالة فى آخر الامر تفتح وتفاعل وتراشح وحوار أو لا تكون .

ولكن أى تفتح هذا الذى نعنى ؟ التفتح هو مصدر تفتح يتفتح وصيغة تفعل تفيد التكلف أى الجهد وتفتح المرء معناه بذل مجهودا ليفتح عينيه وصدره وربما يديه الى الغير بوصفه صديقا له أو طرفا كفئا قابلا للحوار والتعاون قصد تبادل المصالح والتكامل وبلوغ الاهداف السامية وعكس التفتح هو الانغلاق وخاصة الانغلاق على النفس والانفتاح وهى صيغة تفيد السلبية فالمنفتح كالمنبطح سلبى يتأثر ولا يؤثر ، يأخذ ولا يعطى نحن لسنا من هواة الانبطاح ولا الانحناء أمام أى كان ، بل نحن من أنصار التفتح أى من دعاة المجهود المبذول عن وعى ومسؤولية والمستمد من سلم القيم التى تؤمن به المجموعة القومية فى أعمق أعماقها .

نحن لا نتفتح على أى كان ولا على أى ميدان يزج بنا فيه أو يفرض علينا الدخول اليه ، بل نتفاعل من العالم ومع كل التيارات الفكرية ونسير بحسب ضميرنا ، وبهدى من عقيدتنا لأن الحياة عقيدة وجهاد . والحياة ليست جدلا ولا تفكيرا مجردا فقط بل الحياة ايمان بالقيم وبكينونتنا وبصيرورتنا وبخاصياتنا وبمقوماتنا.نحن نطمح الى الدخول الى العالم من بابه الكبير والى التفاعل معه والتعاون مع الغير والتحاور مع كل المذاهب والمدارس ولكن انطلاقا من وجهة نظرنا ونحن مثلا لا يمكن أن نبيع استقلالنا ولا أن نفرط فى كرامتنا مهما كانت الاغراءات أو « الاعانات » لأن المبادىء هى فى المقام الاول والشأن بالنسبة الى تونس كالشأن بالنسبة لكل واحد منكم وقد قيل تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها .

والتفتح الصحيح طريقه الحوار النزيه المقام على التقدير المتبادل . وعكسه يؤول الى الاستعمار الجديد الذى يعشش فى أدمغة الفاعلين والمفعول بهم على السواء فكم من ضحية استبد بها الاستعمار تعتبر أن منزلتها هى عين التقدم . لذلك فان المعركة الثقافية والحضارية الحقيقية تتمثل فى تكوين أجيال تونسية صميمة واقفة على أقدامها مرفوعة الرأس مبرأة من سوس الاستعمار وجراثيم الامبريالية الثقافية فالسياسية والاقتصادية .

وما التعريب والتونسة الا وجه من هذا الاصلاح التربوى الذى أقدمنا عليه والهادف الى تكوين شباب تونسى أصيل معتز بأنه تونسى ومعتز بمقوماته العربية الاسلامية وبقدراته الذاتية والجماعية وقادر على أن يتحاور مع الغير على أساس المساواة وبقاعدة الاخذ على قدر العطاء وانطلاقا من أن لكل أمة ، مهما عظم أو صغر حجمها ومهما زادت أو نقصت مواردها ، خاصياتها ومقوماتها وشخصيتها وأنه من حقها أن تنفرد فى شخصيتها وتنميها وتعتز بها وتشع على الغير انطلاقا منها كما تقتبس من الغير ما قد يفيدها ويثريها .

وأختم كلمتى مبينا أن مثل هذه المهرجانات بما احتوت عليه من محاضرات تعتبر مساهمة ولو متواضعة فى ربح معركة الوجود لتبقى تونس دولة عزيزة منيعة يشعر أبناؤها بشخصيتهم وبقيمتهم وبأنهم قادرون على الخلق فى كل الميادين الاقتصادية والسياسية والثقافية وانهم قادرون على الدفاع عن حرمة الوطن وعن رفع رأس تونس عاليا .

وهكذا ترون أنه لا تضارب بين السياسة والثقافة ، ولا بين الاقتصاد والاجتماع ، وانما هو الكفاح المتواصل فى كل الواجهات ، كفاح منطلقه روح وطنية صميمة ، أصيلة ، حية ، متجددة ، ووسيلته عقل يقظ ، حى ، علمى ، وطاقته قلب ينبض بحب الوطن العزيز الذى نتفانى ونفنى فى سبيله ليعيش لأن فى حياة الوطن امتدادا لنا بواسطة أبنائنا وأحفادنا وتلك سنة الله فى خلقه الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

محمد مزالي

وصايا الفضيل بن عياض

شعر : محيي الدين خريف

أوْصِيكُمُ وَلِي كَمَا عَلِمتُمُ
وَصيةٌ خَضراءُ كالاشجارْ
أوصيكم بالسِرّ أفشوهُ ولاتُكدّروا
عَلى مَن استَضَافكم بكتْمِه
وَمدّدوا في الحزن إنّ الحزنَ للمُريدْ
كروضةٍ يَلقَى بها القَريبَ والبَعيدْ

* * *

خُذْ مِنْ يدي قلادَتي
فأنّي للزمَانِ أنْ يلبسها فِيّ ..؟
وَقدْ سَافرْتُ في الزّمانْ
اخلعْ عليّ الثّوبَ لا أريدُهُ
فإنّ لي ثَوْبا من الحنانْ
لِشَجرةِ السّرْوَلِ أطيارٌ ولي وَطَنْ

(*) الفضيل بن عياض أحد رجال الطريقة : كان فى أول أمره شاطرا يقطع الطريق بين أبيورب وسرخس ثم تاب .
عاش فى عهد هارون الرشيد وهو الذى قال له يوما : ما أزهدك ؟ فقال له : الفضيل أنت أزهد منى . قال : وكيف ذلك ؟ قال الفضيل : أنا أزهد فى الدنيا وأنت تزهد فى الآخرة . وهو الذى كان يقول للمسافر : اذا رأيت حزينا فاقره منى السلام .
وكان عبد الله بن المبارك يقول : اذا مات الفضيل ارتفع الحزن من الدنيا.

وَهَا أنَا أحْمِلُـــه
أمشِـي بِهِ بِرَغْمِ مَا فِي السَّيْرِ مِنْ مِحَـنْ
سَلِّمْ على كلّ حزيـنٍ عندما تَـرَاهُ
قَبِّلْ لَنَا الدّمُوعَ وَالبُكَـاءْ
فإنني أكبرُ منْ يعْرفُ مَا فِي الدّمعِ مِنْ عَـزَاءْ
رَأيْتُهُ عِندَ سُقُوط قَرْطُبَهْ
وعِنْدَمَا شُتّتَ شمْلُ الحبّ فِي الحَمْرَاءْ
أواهُ يا مَنْ علّمَ المحزونَ سِرّ الحُزْنْ
قَلْبِي عَلَيْكَ دَائما مُعَلّقٌ
كطائر يبحثُ عَنْ خَميلة عَذْرَاءْ
انْ عَادَ فِي تَعَاقُبِ الفُصُولْ
أرْقُبه في كلّ فَصْلٍ لاحِقٍ
حَظِيتُ في حَضْرته بأجملِ القبُولْ
لأنّهُ يَعْرفُ مَا فِي القلْبِ مِنْ حقائق .

محيى الدين خريف

الظرف بالحجاز في العصر الأموي (*)

بقلم : البشير المجدوب

2 ـ أثر المرأة فى نشأة الظرف

أ) على مستوى المظهر (الزينة ، اللباس . .)

لقد كان للمرأة الحجازية من أهل الشرف أو من شهيرات القيان وحذاقهن ـ فضلا عما أوتيته من حس فنى بحكم غريزة الانثى فيها ـ من المال والمنزلة والفراغ ما جعلها تنصرف الى العناية البالغة بحسن المظهر والزينة ، وبذل المال والجهد فى ذلك ، سواء فيما اتصل بشخصها أو بيتها أو بالمحيط الذى تحيا وتتصرف فيه .

وكان مما يدفعها الى ذلك الولع بالحسن ، أنى تكن صوره ومظاهره ، وخاصة ما تعلق بشخصها ؛ فلقد كانت المرأة الحجازية الحسناء ـ بدافع من العوامل التى ذكرناها آنفا من مال وترف وفراغ أضف اليها طبيعة العرب الفنية ومزاجهم الدقيق الحس القوى الانفعال ـ معتدة بجمالها معجبة به الى حد الافتتان .

ونجد صدى لهذا الاعجاب « النرجسى » فى خبرين مفادهما واحد رويا عن شخصيتين من أشهر حسان زمانهما .

جاء فى الاغانى : « قالت سكينة : أدخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة » (22)

وفى رواية أخرى أقوى بيانا وأكثر ايحاء : « قالت سكينة : دخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة فى الليلة القراء » (23) .

(*) تابع لما نشر بمجلة « الفكر » ع 6 ـ س 25 ـ مارس 1980 .

(22) الاغانى ج 54 ـ 55 ص 369

(23) الاغانى ج 54 ـ 55 ص 376

وهذا الخبر الثاني : « قال أبو هريرة لعائشة بنت طلحة : ما رأيت شيئا أحسن منك الا معاوية أول يوم خطب على منبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت والله لانا أحسن من النار فى الليلة القرة فى عين المقرور »(24)

وكان من شأن هذا الاعتداد بالحسن أن دفع بعض الحسناوات الى الغيرة والتحاسد والتنافس والمباراة رغبة فى التفوق والفوز بأعلى مرتبة من مراتب الجمال ، والاختصام أحيانا الى حكم مشهود له بسلامة الذوق والبصر بمحاسن النساء ، فيصدر هذا القاضى حكما يميز فيه بين الجمال والملاحة (أى الظرف) دالا بذلك على دقة الاحساس والملاحظة والخبرة بأسرار الحسن .

« قالت سكينة لعائشة بنت طلحة : أنا أجمل منك . وقالت عائشة : بل أنا ، فاختصمتا الى عمر بن أبى ربيعة ، فقال : لاقضين بينكما ، أما أنت يا سكينه فأملح منها ، وأما أنت يا عائشة فاجمل منها . فقالت سكينة : قضيت لى والله ... » . (25)

ويرسم لنا شعر عمر بن أبى ربيعة مثل هذا الاهتمام المفرط بالحسن فى مشهد لطيف ظريف فيبرز فى ايجاز قوى الايحاء حيرة المرأة النهمة بالجمال وحرارة تساؤلها عن مبلغ حظها منه :

ليت هندا أنجزتنا ما تعد	وشفت أنفسنا مما تجد
....	....
زعموها سألت جاراتها	ذات يوم وتعرت تبترد
أكما ينعتني تبصرنني	**عمركن الله أم لا يقتصد**
فتضاحكن وقد قلن لها	حسن فى كل عين من تود
حسدا حملنه من أجلها	وقديما كان فى الناس الحسد(26)

وكان مما يذكى ولع المرأة بجمالها ويدعمه دعما تجاوب الرجال العميق وشدة طربهم للحسن ؛ حتى أهل الصلاح والتقوى منهم ـ فضلا عن الشعراء

(24) الاغانى ج 37 ج 120

(25) الاغانى ج 54 – 55 ص 375

(26) الاغانى ج 2 ص 136

والفنانين ومياسير الفتيان ـ لم يضعف الدين ونزعة الزهد فيهم حب الجمال واكبار شأنه وقوة التأثر منه والاهتزاز له .

يقول صاحب الاغانى : « .. ان عائشة نازعت زوجها الى أبى هريـرة ، فوقع خمارها عن وجهها ، فقال أبو هريرة : سبحان الله ! ما أحسن ما غذاك أهلك !لكأنما خرجت من الجنة » (27)

ويقول أيضا فى نفس المعنى : « ... فصارمت عائشة بنت طلحة زوجها ، وخرجت من دارها غضبى ، فمرت فى المسجد وعليها ملحفة تريد عـائشة أم المؤمنين ، فرآها أبو هريرة فقال : سبحان الله ! كأنها من حور العين » (28).

---

(27) الاغانى ج 37 ص 117

(28) الاغانى ج 37 ص 109 ـ 110 . ومن أحسن ما يستشهـد به فى هـذا المعنى ما يلى « .. حدث الشعبى أنه دخل المسجد فاذا بمصعب بن الزبير على سرير والناس عنده ، فسلم وهم بالانصراف ، فاستدناه مصعب ودعاه أن يتبعه اذا قام . قال الشعبى : فجلس قليلا ثم نهض الى دار موسى بن طلحة وأنا أتبعه، ثم دعانى الى الدخول فدخلت معه الى حجرته ووقفت فالتفت الى وقال : ادخل !فدخلت معه فاذا حجلة وانها لاول حجلة رأيتها لامير . وسمعت حركة فكرهت الجلوس ولم يأمرنى بالانصراف، واذا جارية تنادينى : يا شعبى ! ان الامير يأمرك أن تجلس . فجلست على وسادة ورفع سجف الحجلة فاذا أنا بمصعب بن الزبير ، ثم رفع سجف آخر فاذا أنا بعائشة بنت طلحة ، فلم أر زوجا قط كان أجمل منهما . فقال مصعب : يا شعبى هل تعرف هذه ؟ قلت : سيدة نساء المسلمين عائشة بنت طلحة ! قال : **لا . ولكن هذه ليلى التى يقول فيها الشاعر :**

وما زلت من ليلى لدن طر شاربى ‏ ‏ ‏ الى اليوم أخفى حبها وأداجـن

ثم قال : اذا شئت فقم . قال الشعبى : فلما كان العشى ذهبت الى المسجد فاذا هو جالس على سريره . فاستدنانى حين رآنى حتى وضعت يدى على مرافقه ، ثم مال الى ، فقال : **هل رأيت مثل ذلك الانسان قط ؟** قلت : لا والله ! ... فسألنى : أفتدرى لم أدخلناك ؟ قلت : لا . قال : **لتحدث بما رأيت** . ثم التفت الى عبد الله بن أبى فروة أن يعطينى عشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبا . فما انصرف أحد بمثل ما انصرفت به : عشرة آلاف درهم ، ومثل كارة القصار ثيابا ، **ونظرة من عائشة بنت طلحة .**» والشعبى صاحب هذه القصة الذى حسب النظرة من غنائم يومه هو

على أن الحسناء الحجازية ــ وان كانت واثقة من أن حسنها أحسن من كل زينة ــ فهى ككل أنثى لا تشبع من الحسن ولا تنى تطلب المزيد ، جادة فى التفنن ، حريصة على الابتكار الذى يزيد فى جمالها وفتنتها ، ويرفع من شأنها بين النساء والرجال على السواء حتى لكأنها تريد أن تجعل من نفسها تحفة فنية .. تحفة تملك ضروبا وألوانا من الحسن لا حسنا واحدا ثابتا ، واذا لتفننها فى زينتها تأثير شديد قاهر حتى فى هيئة الرجال وزيهم فيعمدون الى تقليدها دون مبالاة بما يحتمه فارق الجنس من اختلاف فى الزى والهيئة .

« كانت سكينة أحسن الناس شعرا ، وكانت تصفف جمتها تصفيفا لم ير أحسن منه ، وكانت تلك الجمة تسمى السكينية ، وكان عمر بن عبد العزيز (وكان واليا على المدينة اذ ذاك) اذا وجد رجلا يصفف جمته السكينية جلده وحلقه » . (29)

ومن صور هذا التفنن فى الزينة ابتكار الشعور الصناعية ضفائر محكمة الترتيب والتنسيق : « جلست جميلة يوما للوفادة عليها وجعلت على رؤوس جواريها شعورا كالعناقيد الى أعجازهن وألبستهن أنواع الثياب المصبغة ، ووضعت فوق الشعور التيجان وزينتهن بأنواع الحلى ، ووجهت الى عبد الله ابن جعفر تستزيره » (30) .

وقد تفتن فى أمر لباسها ولباس من يحضر ناديها فتكثر من التنويع الى حد اللعب والعبث أحيانا ، وكأنها تمارس ضربا من التمثيل وتجرب أدوارا مختلفة تقيس حظها من الملاءمة والحسن ، أو هى الحسناء تختال فى معرض للازياء اختيالا .

يقول ابو الفرج : « جلست جميلة يوما ولبست برنسا طويلا ، وألبست من كان عندها برانس دون ذلك ، وكان فى القوم ابن سريج ، وكان قبيح الصلع قد اتخذ وفرة شعر يضعها على رأسه ، وأحبت جميلة أن ترى صلعته . فلما بلغ البرنس الى ابن سريج قال : دبرت على ورب الكعبة ! وكشف صلعته،

أكبر الرواة فى زمانه والثقة الحجة فيما حفظ من الاحاديث النبوية .
نقلا عن كتاب « شاعر الغزل » للعقاد والتعليق له . ص 20 ــ 22 سلسلة اقرأ ــ

(29) الاغانى ج 54 ــ 55 ص 369

(30) الاغانى ج 26 ص 283 ــ 285

ووضع القلنسية على رأسه ، وضحك القوم من قبح صلعته . ثم قامت جميلة ورقصت وضربت بالعود وعلى **رأسها البرنس الطويل ، وعلى عاتقها بردة يمانية وعلى القوم أمثالها ...** وقام ابن سريج يرقص ومعبد والغريض وابن عائشة ومالك وفي يد كل واحد منهم عود يضرب به على ضرب جميلة ورقصها ، فغنت وغنى القوم على غنائها :

ذهب الشباب وليته لم يذهب   وعلا المفارق وقع شيب مغرب

ثم دعت بثياب مصبغة ووفرة مثل وفرة ابن سريج فوضعتها على رأسها ، ودعت للقوم بمثل ذلك فلبسوا . ثم ضربت بالعود وتمشت وتمشى القوم خلفها ، وغنت وغنوا بغنائها بصوت واحد :

يمشين مشى قطا البطاح تأودا   قب البطون رواجح الاكفال

....»(31)

ومن غريب ما يذكر في أمر اللباس ، وهو التقاء طريف للفن والظرف والتجارة أن يعرض الفن (أعني الشعر والغناء معا) لبعض الازياء فيسوغها ويحسنها في أعين الظريفات ، ويعمل على اشهارها ورواجها وهو شاهد بليغ ودليل حي على تأثر الظرف بالفن وتفاعل على هاتين الظاهرتين وتجاوبهما تجاوبا بعيد الاثر . (32)

وكذلك شأنها في عنايتها بترتيب مجلسها تخيرا لآلته واحكاما لنظامه ، فالاطار والمجلس (أعني الحاضرين) كل لا يتجزأ بعضه يزين بعضا وحدة

---

(31) الاغاني ج 26 ص 282 ـ 283

(32) جاء في الاغاني «.. أن تاجرا من أهل الكوفة قدم المدينة بخمر فباعها كلها ، وبقيت السود منها فلم تنفق وكان صديقا للدارمي ، فشكا ذلك اليه ، وقد كان نسك وترك الغناء وقول الشعر ؛ فقال له : لا تهتم بذلك فاني سأنفقها لك حتى تبيعها أجمع ، ثم قال :

قل للمليحة في الخمار الاسود   ماذا صنعت براهب متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابه   حتى وقفت له بباب المسجد

وغنى فيه ، وغنى فيه أيضا سنان الكاتب ، وشاع في الناس . وقالوا : قد فتك الدارمي ورجع عن نسكه ؛ فلم تبق في المدينة **ظريفة الا ابتاعت خمارا أسود** ، حتى نفد ما كان مع العراقي منها ، فلما علم بذلك الدارمي رجع الى نسكه ولزم المسجد . » الجزء 7 ص 337 ـ 338

ووئاما . ومن الظرف الاصيل أن يهيأ المجلس ويرتب على حسب شخصية الحاضرين ويصاغ وفق أذواق الضيوف والزائرين ، فالملاءمة بين طبيعة المجلس وبين شخصية الحاضرين من صميم آداب الظرفاء .

جاء فى الخبر السابق عن جميلة أنها : « جلست يوما للوفادة عليها ، وجعلت على رؤوس جواريها شعورا مسدلة كالعناقيد الى أعجازهن ، وألبستهن أنواع الثياب المصبغة ، ووضعت فوق الشعور التيجان ، وزينتهن بأنواع الحلى ، ووجهت الى عبد الله بن جعفر تستزيره وقالت لكاتب أملت عليه : بأبى أنت وأمى ! قدرك يجل عن رسالتى ولكن كرمك يحتمل زلتى ... وبالكتاب نسألك وبحق الرسول ندعوك ، ان كنت نشيطا ، **لمجلس هيأته لك لا يحسن الا بك ولا يتم الا معك ، ولا يصلح أن ينقل عن موضعه ، ولا يسلك به غير طريقه** . فلما قرأ عبد الله الكتاب قال : انا لنعرف تعظيمها لنا واكرامها لصغيرنا وكبيرنا . وقد علمت أنها قد آلت اليه أن لا تغنى أحدا الا فى منزلها ... فنظر الى ذلك الحسن البارع والهيئة الباذة فأعجبه ووقع من نفسه، فقال : يا جميلة ! لقد أوتيت خيرا كثيرا ، ما أحسن ما صنعت ! فقالت : يا سيدى ، **ان الجميل للجميل يصلح ، ولك هيأت هذا المجلس** . فجلس عبد الله بن جعفر ، وقامت على رأسه وقامت الجوارى صفين ؛ فأقسم عليها فجلست غير بعيد . ثم قالت : يا سيدى ، ألا أغنيك ؟ قال : بلى . فغنت .... ثم دعت لكل جارية بعود وأمرتهن بالجلوس على كراسى صغار قد أعدتها لهن، فضربن وغنت عليهن هذا الصوت وغنى جواريها على غنائها . فلما ضربن جميعا قال عبد الله: ما ظننت أن مثل هذا يكون! وانه لما يفتن القلب!...»(33)

فلا بد من هذا الاطار الجميل الملائم ، سواء كان مصطنعا أو طبيعيا (أعنى فى الهواء الطلق) ، تستند اليه الظريفة (وكذلك الظريف) وتتفاعل معه وتتغذى منه حسيا وروحيا ، إنه ضرورى لبروز صفة الظرف ونموها واستمرارها . وثمة أخبار تدل على احساس لطيف بجمال الطبيعة توفق الظريفة بفضله الى اختيار المكان والموقع والوقت الانسب للمجلس والادعى للأنس والصفاء والمتعة والسرور ، ومن أحب هذه الاماكن الى ظريفات المدينة وظرفائها وادى العقيق .

---

(33) الاغانى ج 26 ص 283 – 285

جاء في الاغاني : « ان سكينة ناقلت ما لها بالزوراء الى قصر يقال له البريدي ببطن الحمار ، فلما سال العقيق خرجت ومعها جواريها تمشي حتى جاءت السيل ، فجلست على جرفه ومالت برجليها في السيل ، ثم قالت :... والله لهذه الساعة في هذا القصر خير من الزوراء » (34) .

ويروى عن عائشة بنت طلحة « أنها لما تأيمت كانت تقيم في مكة سنة ، وبالمدينة سنة ، تخرج الى مال لها بالطائف عظيم . وقصر لها فتتنزه وتجلس فيه بالعشيات ، فتتناضل بين الرماة ، فمر بها النميري الشاعر ... » (35)

لقد سارت المرأة الحجازية ــ كما رأينا ــ شوطا لا يستهان به في طريق الحضارة الراقية احكاما لبعض من جوانبها المادية ، وآية ذلك ما شاهدناه من محاولات موفقة ، وان محدودة ، للتعبير عن شخصيتها ــ بمظهرها وزينتها ونوع لباسها ــ تعبيرا حرا متميزا ، ملائمة بين ذوقها الخاص وما تقدمه لها الحضارة الدخيلة من أسباب الزينة والترف .

على ان هذا الذوق ــ والذوق قوام الحضارة وبعض من روحها الحي ــ لم يزل قريبا من الفجاجة بعيدا عن النضج يطغى عليه عامل « الكم » ، شأن اذواق الحديثي العهد بالنعمة والحضارة لم يتأصلوا فيهما بعد ، يبهرهم الثراء ويستخفهم الترف الى حد السخف والبطر .

ولعل هذا تفسير بعض من سلوك احدى سيدات نساء قريش (سكينة بنت الحسين) أرادت أن تبرز جمال ابنة لها ، فأساءت اليه من حيث لا تدري اذ هي أثقلتها بالحلي ، وقد ذهب عنها أن أحسن الحسن ما كان طبيعيا ، أو ما اقتصدت في تجميله يد الصناعة .

عن سعيدة بنت عبد الله بن سالم : « لقيت سكينة بين مكة ومنى ، فقالت : قفي يا ابنة عبد الله ، فوقفت ، فكشفت عن بنتها من مصعب ، واذا قد أثقلتها بالحلي واللؤلؤ فقالت : ما ألبستها اياه الا لتفضحه . » (36)

---

(34) الاغاني ج 54 ــ 55 ص 383
(35) الاغاني ج 37 ص 118
(36) الاغاني 54 ــ 55 ص 375 . انظر رواية أخرى لنفس الخبر . نفس المصدر ص 376

كما تفسر طبيعة هذا الذوق الحجازى الذى لم يستو بعد لطافة وتهذيبا ما نلاحظه عند بعض نساء علية القوم من تنافس فى طلب الابهة والبهرج وتفاخر بالمال والمتاع ، وكما قيل « آفه الظرف الصلف » (37) .

جاء فى الاغانى : « .. ان عائشة بنت طلحة حجت وسكينة بنت الحسين (عليهما السلام) معا . وكانت عائشة أحسن آلة وثقلا . فقال حاديها :

عائش يا ذات البغال الستين   لا زلت ما عشت كذا تحجين

فشق ذلك على سكينة ، ونزل حاديها فقال :

عائش هذه ضرة تشكوك   لولا أبوها ما اهتدى أبوك

فأمرت عائشة حاديها أن يكف فكف . » (38)

ولعل الخبر التالى أدل على التفاخر وأقوى بيانا :

« استأذنت عاتكة بنت يزيد بن معاوية عبد الملك فى الحج ، فأذن لها وقال ارفعى حوائجك واستظهرى فان عائشة بنت طلحة تحج . ففعلت . فجاءت بهيئة جهدت فيها ، فلما كانت بين مكة والمدينة اذا موكب قد جاء فضغطها وفرق جماعتها . فقالت : أى هذه عائشة بنت طلحة ، فسألت عنها ، فقالوا هذه خازنتها ثم جاء موكب آخر أعظم من ذلك . فقالوا : عائشة ! عائشة ! فضغطهم ، فسألت عنه ، فقالوا : هذه ماشطتها . ثم جاء مواكب على هذا ، أى سننها . ثم أقبلت كوكبة فيها ثلاثمائة راحلة عليها القباب والهوادج . فقالت عاتكة : ما عند الله خير وأبقى » . (39)

(للبحث صلة)

البشير المجدوب

---

(37) التوحيدى البصائر والذخائر المجلد الثالث (2) ص 528

(38) الاغانى ج 37 ص 116

(39) الاغانى ج 37 ص 117

بداية تحول المقامة التونسية إلى أقصوصة :

مَقامَة في حق الشيخ سيدي اسماعيل قاضي الحضرة العلية بتونس

بقلم : الهادي حمودة الغزي

اسماعيل التميمي (*)

« 1 ب » بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبة وسلم

الحَمْدُ لِمَنْ جَعَلَ الصبْرَ مِفْتَاحا بِبَابِ التَّوَابْ ، وَالتَّوَسُّلَ بِالأَفْضَلِينَ مَنْجَانًا مِنَ العِقَابْ . وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى نَبِيِّه أَفْضَلِ مَنْ عتَقَ الرِّقَابْ . صَلَّى الله عَلَيْهِ صَلاَةً كَامِلَةً ، وَعَلى آلِهِ وَالأَصْحَابْ .

وَبَعْدُ فيقُولُ مَنْ سَلَبَ الدَّهْرَ شِفَاهُ ، وَأَطْرَدَهُ عَنْ بَابِهِ وَنَفَاهُ . وَأَرْخَى عَلَيْهِ سُدُلَ الحزَن ، وَسَقَاهُ كَأْسَ المِحَن . لَمَّا نَزَعَ الدَّهْرُ مِنِّي خالكْ (كذا) ، وَسَقَانِي كَأْسَ الْمَهَالكْ . وَادعْتُ الأَهْلَ وَالبَنِينْ ، وَخَرَجْتُ فَارًا فِي الْحِينْ ، فَقَصَدْتُ الطَّرِيقْ ، بِلاَ أَنِيس وَلاَ رَفِيقْ ، فَلَمَّا بَعُدْتُ عَنِ

(*) **ورد بالورقة الاولى : (مقاعد أدبية) فى حق القاضى اسماعيل التميمى لما** اطلق سراحه من السجن . مكتبة حسن حسنى عبد الوهاب الرقم : 18808 ــ الورق : 4 ــ مسطرة : 12 ــ قياس : 16،22 .

العِمَـارَةِ ، أَمْطَـرَتِ السَّمَـاءُ بالحجَارَةِ (*)، فَأُصِيبَ كَتِفِي اليَمِينُ، وَاشْتَدَّ عَلَيَّ الوَجَعُ في الحِينْ ، فَفَاضَتْ المَدَامِعُ ، وَصُمَّتْ مِنِّي المَسَامِعُ ، وَعَادَ اليَقِينُ رَيْبَا ، وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا (1) فَآوَيْتُ/«2أ» إلى خَيْمَةٍ بكَثِيب ، قُلْتُ عَلَيَّ أجِدُ بِهَا طَبِيبْ ؛ فَبَيْنَمَا العَيْنُ تَتَقَرَّحُ وَتَبْكِي ، وَالنَّفْسُ تَتَأَسَّفُ وَتَشْكِي ، وَالفِكْرَةُ فِي هُيَامْ ، وَاللِّسَانِ يُتَرْجِمُ بِالكَلَامْ إذَا بفَارِسٍ أَقْبَلَ مِنْ هُنَاكَ وَقَالَ :

– أَيُّهَا الغَرِيبُ مَا أَبْكَاكَ ؟ فَقَدْ مَزَّقْتَ الفُؤَادَ ، وَخَلَّيْتَ الحُزْنَ وَالكَسَادَ ، فَأَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ؛ فَقَدْ نَجَوْتَ مِنَ التَّلَفْ ؛ فَقُلْتُ :

– جَعَلَ اللهُ سَعْيَكَ مَشْكورْ (2) وَتجارَتَكَ لَنْ تَبُور . فَلَقَدْ سَلَّيْتَنِي بِقَوْلٍ حَسَنْ ، وَأَذْهَبْتَ عَنِّي اليَأْسَ وَالحزَنْ . فَنِعْمَ الرَّفِيقُ كُنْتَ إليَّ قَدْ مَنَّ اللهُ بكَ عَلَيَّ ؛ فَقَالَ :

– لَا تَخَفْ فَأَنَا لكَ رَفِيقْ ، وَمُؤْنِسُكَ فِي الطَّرِيقْ ؛ فَقُلْتُ (3) :

– جَعَلَ اللهُ بِضَاعَتَكَ وَافِرَهْ ، وَتِجَارَتَكَ غَيْرَ خاسِرَهْ : فَقَالَ :

– يَا عبدَ الله ، خَيْرُ العَمَلِ مَا كَانَ لله ؛ فَقُلْتُ :

– مَنْ أَنْتَ ؟ مِنَ العَرَبْ ؟ وَمَنْ/«2ب» تكُونُ فِي النَّسَبِ ؟ فَقَالَ :

(*) يستفاد من هذا التعبير أن نفيه كان فى أواخر فصل الربيع .

(1) فى العبارة اشارة الى قول الله تعالى :

« قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا » .

(2) كذا بالاصل مراعاة للسجع في ظن الكاتب ، مع انه لو أثبت الالف لصحت السجعة أيضا لنصب الفعل بأن فى نهاية الجملة الثانية (لن تبور) .

(3) ورد بالاصل فقال ونبه بالطرة على انه خطأ .

ـ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ (*)، وَجُنْدِيٌّ مِنْ أَعْيَانِ الجَيْشِ، فَقُلْتُ:
ـ نِعْمَ القَبِيلَةُ الشَّرِيفَةُ، الطَّاهِرَةُ، العَفِيفَةُ؛ فَقَالَ:
ـ أَيُّهَا الكَئِيبُ، الحَانِي الغَرِيبُ، مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ، وَمَتَى مِنْ بِلَادِكَ انْتَقَلْتَ، وَإِلَى أَيْنَ المَفَرّ، وَهَلْ قَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مِنْكَ المَقَرّ؛ فَقُلْتُ:
ـ أَيُّهَا السَّيِّدُ الشَّرِيفُ، الطَّاهِرُ العَفِيفُ؛ إِنَّ الدَّهْرَ لَيْسَ لَهُ أَمَانٌ وَالمِحَنُ لَا يَنْجُو (4) مِنْهَا إِنْسَانٌ؛ فَإِنِّي مِنْ قَوْمٍ كِرَامٍ، ذَوِي مَهَابَةٍ وَاحْتِرَامٍ، لَهُمْ شَرَفٌ رَفِيعٌ، وَجَاهٌ مَنِيعٌ. يُوَاسُونَ الفَقِيرَ وَيَنْصُرُونَ الحَقِيرَ، وَيُعَظِّمُونَ الشَّرِيفَ، وَيُكْرِمُونَ الضَّيْفَ فَأَنْشَبَتْ فِيهِمِ المَنِيَّةُ أَظْفَارَهَا (5)، وَأَلْبَسَتْهُم قَمِيصَهَا وَأَطْمَارَهَا؛ فَأَهْلَكَتْ الوَالِدَ، وَالوَلَدَ، وَلَمْ تُبْقِ (6) مِنْهُمْ أَحَدٌ (7). فَتَقَطَّعَتْ بَعْدَهُمُ الأَسْبَابُ وَغُلِّقَ فِي وَجْهِي البَابُ؛ فَخَرَجْتُ مِنَ الدِّيَارِ فَارًّا مِنَ «3أ» الأَكْدَارِ؛ فَلُذْتُ بِأَرْبَابِ الكَمَالَاتِ، وَقَرَعْتُ أَبْوَابَ المُفْتِينَ وَالقُضَاةِ، فَأَزَالُوا عَنِّي الأَكْدَارَ، وَأَلْبَسُونِي مِنْ مَحَاسِنِهِمْ أَنْوَارَ، فَنَشَرَ الفَرَحُ عَلَيَّ رَايَاتِهِ وَأَظْهَرَ الطَّرَبُ فِي مَجْلِسِي نَفَحَاتِهِ؛

(*) توضيح يفهم من العبـارة ان الشيـخ اسماعيـل التميمي كان مستشعرا بتعصب المماليك وكأنه يرى أن نسبة العربي كان سببا فيما أصابه وكان الفرج لاياتي الا على يد من كان عربيا صميما .

(4) بالاصل : لا ينجا

(5) اشارة الى قول الشاعر وهو من الشواهد البلاغية ·
واذا المنية أنشبت أظفارهـا   ألفيت كل تميمة لا تنفـع

(6) بالاصل : ولَم تبقى وهو خطأ ·

(7) عدل الكاتب عن النصب مراعاة للسجع وقد فعل أكثر من مرة ذلك ·

فعَادَ الدَّهْرُ إليَّ ، بعَساكِرِه عليَّ . فطَوَى رَايَةَ الفرَحِ وَالسُّرُورِ ، وَنَشَرَ رَايَةَ الحُزْنِ وَالشرُورِ . وَأَلْبَسَنِي ثوْبَ الحزَنِ وَسَقَانِي كَأْسَ المِحَنِ ؛ فَأَعَدْتُ ثانيا الشّكَابَهْ ، فَأَلْبَسونِي ثوْبَ الوِقَايَةْ . فعَادَ الدَّهْرُ ثانيا إليَّ (8) ، وَأَرْخَى سُدُلَ الإهَانَةِ عليَّ فخَرَجْتُ فارًا منْ زَوْبَعَاتِه ، وَمُتَخَوِّفًا مِنْ نكبَاتِهِ . وَقَدْ عَدِمْتُ التَّدْبِيرَ فَمَا بِهِ عليَّ تشيرْ» ؟ فقَالَ :

ـ أُشيرُ علَيْكَ ، أَيُّهَا المُونِسُ ، بالذَّهَابِ إلى تونسْ» . فقُلْتُ :

ـ مَنْ بِهَا نَتَمَسَّكُ بِأَذْيَالِهِ /«3ب» وَنَلُوذُ بِقَرَابَتِهِ وَأَنْجَالِهِ ؟ فقَـالَ :

ـ بِقَاضِي السَّادَاتِ المَالِكِيَّةِ بالدِّيَارِ التونسيَّةِ ؛ فإنَّهُ يَنْصُرُ المَلْهُـوفُ وَعلى المُسْتَنيبين يَرُوفْ » ؛ فَقُلْتُ :

ـ كانَ اللهُ لكَ وَإليَّ ، فَنِعْمَ ما أَشَرْتَ به عَلَيَّ . فَزَحَفْنَا (9)جَمِيعًا، وَتَمَاشَيْنَا سَرِيعا . فلَمَّا قَارَبْنَا الدِّيَارَ ، وَجَاوَزْنَا المفَازَةَ وَالقِفَارَ اشْتَدَّ بِنا التَّعَبُ وَالبَاسُ ، وَأَغْشَانَا (10) في حِينِنَا النّعاسُ ، فَآوَيْنَا إلى حقل حَصِين ، وَجَلَسْنَا بِإِزَائِهِ في الحِينِ . فزَالَت عنَّا الأَكدَاءُ ، وَتَأنَسْنا بِقُرْبِ الدَّارِ . فَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ وَجَرَى السَّيْلُ ، وَبَانَتِ النُّجُومُ وَأَقْبَلَ اللّيلُ ، وَوَثِقْنَا بِأَيْدِينَا السِّلاَحْ ، وَمَكَثْنَا

(8) يفهم من منطوق هذه العبارة : ان اسماعيل التميمي تعرض للاضطهاد مرتين لا مرة واحدة كما هو معروف وانظر الى فقرة : « فخرجت من الديار فارا من الاكدار » ثم قوله : « فخرجت فارا من زوبعاته »

(9) بالاصل كتبت الكلمة على هذا النحو من سجنها وهي غير واضحة وأصلحنا بما يوافق السياق .

(10) حقه أن يقول وغشينا قال تعالى : (فغشيهم من اليم ما غشيهم) .

نَسْهَرُ إلى الصَّبَاحْ . ثمَّ سِرْنَا مِنَ الغَدِ جَمِيعا ، وَتَمَاشَيْنَا سَرِيعًا ؛ حَتَّى بَلَغْنَا تُونِسْ ، وَكَانَ لَنَا بِهَا صَدِيقٌ مُونِسْ ؛ فَذَهَبَ بِنَا إلى حَضْرَةٍ شَرِيفَةْ ، طَاهِرَةٍ عَفِيفَةْ ، فَدَخَلْنَا المقَامَ ، وَأطلقنَا السَّلَامَ . فإذَا بِهَا شَيْخٌ مُهَابْ ، (يتهجّد) (11) بالسُّنَّةِ وَالكِتَابْ ، عَلَيْهِ هَيْبَةُ العِلْمِ/«4أ» وَالوَرَعِ وَالحِلْمِ . فَمَشَيْتُ إلَيْهِ ، وَقَبَّلْتُ أنَامِلَهُ وَيَدَيْهِ وَقُلْتُ :

ـ أيُّهَا الرّكْنُ الهُمَامُ ، وَاللَّوْذَعِيُّ الضِرْغَامُ ، وَفَارِسُ ميدان الأقضية والأحكامْ ، ترابُ حَضْرَتِكَ الشَّرِيفَةْ ، الطَّاهِرَةِ العَفِيفَةْ ، قد وَقَفَ بِبَابِكَ ، وَلَاذَ بِجَنَابِكَ . فَهَنَّيْتُهُ بالوَعْدِ . وَأقْسَمْتُ لَهُ بِالعَهْدِ ، فَخَرَجَ فرحا مَسْرُورْ ، وَدَعَا بِتَيْسِيرِ الأمُورْ . وَزَالَ عَنْهُ الكَسَادْ ، وَرَجَعَ في حِينِهِ إلى البِلَادْ . فَعَقَلَ الحمَارْ ، وَأتى نَحْوَ الدَّارْ ، فَاسْتَقْبَلَهُ صِغَارٌ يَبْكُونَ ، وَجِيرَانٌ يتأسَّفُونَ . فَهَنَّأْهُمْ بِالوَعْدِ ، وَأقْسَمَ لَهُمْ بِالعَهْدِ . فَفَرِحُوا بِذَلِكَ ، وَدَعَوْا بِحُسْنِ المَسَالِكْ . فَيَا عَالِمَ الأنَامْ ، وَيَا مَنْ يَلُوذُ بِكَ الخاصّ وَالعَامّ ، قد عظُمَتِ الرّزِيَّةْ ، وَحَلَّتِ البَلِيَّةْ ، وَاشتَدَّ الكربُ وَحَلَّ الطَّلَبْ . فاحم (12) الدَّخِيلَ وَأكْرِمِ النَّزِيلَ . أكْرَمَ اللهُ مَثْوَاكَ ، وَمَنَحَكَ سُؤْلَكَ وَمُنَاكَ ، وَحَقَّقَ بِالسَّعَادَتَيْنِ وَرَزَقَكَ القَبُولَ فِي الدَّارَيْنِ ، وَأقَرَّ عَيْنَكَ بِنَجْلِكَ السَّعِيدْ وَمَنَحَكَ مَا تَشْتَهِي وَ مَا تُرِيدْ (وحشرك مع الابرار وهنَّاك في هذه وَفي تلك الدَّار) (13) فَخَيْر العَمَل ما كَانَ للهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحمةُ الله

---

(11) الكلمة غير واضحة وقدرناها : (يتهجد) موافقة للسياق .

(12) بالاصل فاحمي وهو خطأ .

(13) ما بين قوسين مزاد بطرة الاصل على أنه من النص فلذلك الحقناه .

وهذه ترجمة اسماعيل التميمي :

أبو الفداء اسماعيل التميمي

ولد بمنزل تميم حوالي 1168 هـ في أواخر حكم علي باشا الاول وقد يكون مرّ على ميلاد أبي الفداء عام حين نجحت حملة أولاد حسين بن علي على ابن عمهم علي باشا بن محمد ودخولهم تونس وقتله سنة 1169 وتوفي في 15 جمادى الاولى سنة 1248 .

درس ببلدة منزل تميم على العالم الخيّر أحمد بن سليمان الصقالبي وبالعاصمة تخرّج على كبار علماء عصره مثل صالح الكواش والشيخ الغنجاني والشيخ الشحمي وعمر المحجوب ثمّ بعد ذلك تصدّر للتدريس بالجامع الأعظم وباشر أيضا مهنة التوثيق وبها تميّز وكان حمودة بن عبد العزيز من المولعين به وكفى بذلك شهادة على فضل أبي الفداء .

ومثلما نجح اسماعيل التميمي في عمله التدريسي نجح أيضا في ما عهد اليه من وظائف وخطط منها الشهادة على بناء دار حمّودة باشا بالقصبة ثمّ القضاء 1221 هـ والافتاء 1231 هـ ثمّ رئاسة الافتاء في المذهب المالكي .

وقد امتحن في جملة الممتحنين بالنفي الى ماطر بعد مقتل يوسف صاحب الطابع . وكانت هذه المقامة التي ننشرها اليوم ثمرة من ثمار تلك النكبة .

الهادي حمّودة الغزّي
دار المعلّمين العليا

أسمى معاني الهروب ...!

شعر: الصادق شرف
(أبو وجدان)

حين نهرب من الموت قد نكسب الحياة ..
ولكنا حين نهرب من الحياة نموت ونحن وقوف
في ساحة الانبطاح السياسي .
فلا سلمت أقدام الهاربين يا وطني !

1) كم نعيش الضجيج ولكن ..

هربنا إلى الإنشراح لماذا ؟ وفي ساحة الإنبطاح لماذا مضينا ..
نجانب ريح السلام ؟
ونشعر بالانهزام يطوقنا ، ويشوه رؤياتنا للأمام ..
وكنا بدون ملابس تمثال (آدم) ، نحن عراة ..
لماذا التعري إلى عانة ينسج العنكبوت عليها ، يبيض الحمام ؟.
أنحن خيال يطاول صفصافة مدت الجذع فينا ؟
ومدت خمائل حينا ..
وها نحن من تحتها ، كم نعيش الضجيج . ولكن بدون كلام.

* * *

2) السباحة في المستقبل ..

سلام على الإنغراس من الرأس حتى نهاية سيقاننا ..!
حين نفرك منا العيون يكون انشراح الجبين ..

أما نبصرُ الركبَ يأتي ؟ وكيف يجيء الذي يمتطي صهوات السنينْ ؟!
يجيءُ ولكن بلا حاضر .. ثمّ يمضي وثيقةَ عشقٍ لمستقبل ..
ظلّ ينفرُ سرْبا بسرْبٍ ، تنافرَ منّا الهوى والحنينْ .

* * *

3) حين يفيض الغريق ..

هو الليلُ يثقبُ يوما بيومٍ .. فأيّامُنا تتشاقبُ ..
تغرقُ في اليمّ ، منّا تَشقّقَ صدرُ السفينْ ..
على صخرة نتأتْ في المسارِ فأنّ الغريقُ ..
وماذا يفيدُ الغريقَ الأنينْ ؟
يئنُ .. ويغرقُ حتّى حدود الرسوبِ ، ويطفو النقيضْ ..
وكمْ من نقيض صحيح تهشّم قبل المريضْ .!
فيطفو المريضُ طويلا ، عريضا ، كتاريخ عاهرةٍ تستميلُ الخطايا..
وتطردُ منْهَا حُضُورَ الإلاهْ ..
وتعلُو على الوجهتين كما الفصل بينَ السماءِ وعمقِ المياهْ ..
تظلّ هي الوصلُ بين التعمّق في الذاتِ والإنفلاتِ من الذاتِ ..
تُصبحُ كلّ السطوح متاها وراء متاهْ ..
فما في التنائي ارتفاعٌ لرأسٍ ، وما في التداني اتساع لنفسٍ إذا ما تُسامُ الجباهْ .
هما الفَصْلُ والوصلُ بوّابتانِ ، هما في الرحابةِ – رغم الرحابةِ – كانا .
كما السجنِ عندَ التحام الحضور بوعيِ الهُروبْ ..
وكمْ منْ سجينٍ بريءٍ ! ولكنْ براءةَ من أسرجَ المُهرَ يبغِي الرّكوبْ..

ولكن تراجعَ فالمُهرُ ما زال متنُه رَخْوا .. وساقُه تغرقُ في الصخرِ .. تغرَقُ حتى الكعوبْ .

* * *

4) ملصقات قانونية ..

ونقطع بُعدَ المسافاتِ فينا من الشّرقِ للغربِ ، لكن يلاحقُنا الطّميُ بالهَمْهَمَـاتْ ..

بلون ، بطعمٍ ، بريحٍ ، بقحطِ الجنوبْ ..

ثلاث جهاتٍ تحاصرنا .. وانتظرنا ، فلم يبقَ الا الشمال اتجاها فسيحا ، حذارِ مِنَ الإنبتَاتْ !

ويا ليته كان حاصرنا مثل تلك الجهاتْ .!

وفي مستوى الإنفلاتِ من الذاتِ للذاتِ ،

قبلَ الترسّبِ في مغرياتِ الهروبْ ..

وبعد الترسّبِ ــ رغم امتطائنا الهواءَ ــ رمانا الحضورُ بأنّا ..

عَشقنا الرّسوبَ لذاتِ الرّسوبْ .!

فما أتعس المرءَ حينَ يحررُ شعبهُ مِنْ ملصقاتِ القوانين !

يُرْمى .. بأنهُ أصبحَ مصدرَ ما في الهوى من خطايَا ..

كأنّ الهوى في ارتكابِ الذنوبْ .!

ونعشقُ ، نعشقُ حتى نعيقَ الجنايةِ فينا ..

ونعلو على الموج حينًا ..

كأنّا عشقنا الركوبَ ، ولولاالوصول السريعُ لما عشقَ الناس أيَّ ركوبْ .

* * *

5) قوانين بالرغم منا ..

عجيبٌ ، تسُومُ القوانينُ هذه مِنّا الجباهَ ، وتنجُو جبَاهْ .!

وتدخلُ ما بين لحمٍ وعظم بكل انتباه ، ودونَ انتباهْ .!
تفتّش منّا جيوبا ، وتقعرُ منّا الجيوبْ .!
عجيبٌ ، تداخلَ فينا فضولُ الترسُّبِ حتّى حدود الفُرُوجْ .!
كأنَّ الدخولَ الحقيقيَّ لا يستتبّ بدون خرُوجْ .!
كأنّ الركوبَ الحقيقيَّ لا يُستطابُ بغير سرُوجْ .!
عجيبٌ تحاولُ سدَّ الثقوبِ علينا عصورُ الترسُّبِ !أينَ ثقوبُ التنفس؟ أينَ؟
فكيفَ تُسدُّ ثقوبُ الغرابيل كيفْ .!؟
ونحن حبوبٌ ، ألا يدخل الحبّ إلا ليخرجَ للبذر ؟ هذا الخريفُ بصَيْفْ ..
وكلّ شتاءٍ يجيءُ سيسرِقُ منّا الخزائنَ حقّا بحيفْ ..
فكيفَ تظلّ الغرابيلُ مصفاةَ حَبّ بدُون ثُقُوبْ !؟
عجيبٌ يؤجّجُ عصرُ الترسّبِ حولَ الثقوب حصارا ! ويضرمُ صهد الحروبْ .!
لنصبحَ مثلَ الحجارة ، منْ قال : إنّه يكرَهُ أن تتحجّرَ منّا القلوبْ ؟
عجيبٌ ، أيلتذ أن تتجمّدَ منّا القلوبُ بسدّ المنافذْ .!
هيَ العاصفاتُ قريبا تهبّ .. ولولا النوافذْ ..
لما هربَ القابعونَ وراء المدافىء منْ قاطراتِ الهُبُوبْ .

★ ★ ★

6) القانون الدولى غدا ..

لكَمْ فرقتنا قبائلَ كلُّ الديانات !
لم يكف هذا ، فجاءتْ قيودُ الدويلاتِ ..
فينا تُتَاجرُ بالحربِ باسمِ الشعوبْ !

تجمّعُ منّا المعاصمَ بالقيدِ ! كادتْ تذوبُ المعاصمُ ،
والقيدُ ما كادَ بعدُ يذوبْ .!

* * *

7) قوانين السلخ المعاصر ..

جميع القوانينِ في الأرض منْ وَضعِ سادَاتِ عصرِ الرقيقْ ..
فهذهِ جاءتْ بشكلِ عَصيٍّ ، وهذي بشكلِ رفيقْ ..
وأخرى بشكلِ حبوبِ (الحَرَابيشِ) أكرمْ بها مِنْ حبوبْ .!
يصيرُ العَصيُّ بشوشا على أنْ نلقلقَ بعض النقودِ كحصّالةٍ بينَ
أحضانِ طفلٍ صغيرْ..
يصيرُ الرفيقُ وراءَ القطيعِ هشُوشا يسوقه صوب الغدير..
على أنْ نسوقَ الى المَسلخاتِ خِرافا نعلّمُها كيفَ تلثمُ نجمَ
الغروب الخطير!

* * *

8) بلاغ الى الصفوف الأمامية ..

مقابضُ منها تطلُ نصالٌ ، فما أجملَ النصلَ يلمعُ كالنجم بين
الصّفوفْ .!

أيسلخُ منها جلودا .. ويصنعُ منها الدّفوفْ ..
تصفّقُ مثلَ الكفوفْ .!؟

لعيدِ الجلوسِ تُدَقّ ، وتُجلَدُ للخطباءِ ، تُشكّل للشعب حجم
الخُطُوبْ ..
فكلَ خطيبٍ بحلقهِ يصنعُ للحُبِّ بابا ، بدونَ مزالجَ فادْخُلْ ..

بـدون مطارقَ فـافتـحْ ..

بدون سروج ، ألا انزلْ – بدون ركوبْ – على السهلِ والأهـل ضَيفـا فنحنُ طروبٌ وراءَ طَرُوبْ !

* * *

9) آخر محاولة للتذويب ..

تسُدّ (الحرابيشُ) حلقكَ أنتَ ، وأنتِ ، وهذي ، وهذا ..

على المـاءِ والريقِ حتّى الهواءِ تسُدّ عليه الدروبْ ..

وما دمتَ من هؤلاءِ ، كغيركَ في الحلـقِ سُدٌّ ، تظلُّ تحاولُ كيف ابتـلاعَ الحبـوبْ .؟

* * *

10) الهروب من الهروب !

عجيب بِضُعـف الهيـاكلِ منكَ استطعـتَ التسلّلَ بين سنـابك خيـل المصـاعـبْ ..

وبينَ وُحـُوشِ المتـاعِـبْ

على ساحـةِ الانشـادِ إلى الـذات انتَ صمـدتَّ برغمِ لفيفِ اللّغـوبْ ..

ولستَ من الهـاربين ولو تتكسـرُ كوبـا بكُـوبْ ..

ولو أنَّ صوتَ المغـرّق ظـلّ يهـدّدُ .. ظلّ يجـذّرُ فيـك رصاصَ الـرسـوبْ ..

فكـلّ هـروبٍ ستَهـربُ منـه ُ ،

ستهـربُ منـه ُ ..

وذلكَ أمْجَـدُ .! ذلكَ أسْمَى مَعَانِي الهُـروبْ !

الوردية : 1980/1/28

الصحفية و الصعلوك

قصة : فاطمة سليم

كان يوما جميلا أشرقت فيه الشمس بعد طول احتجاب فبعثت فى حياة الناس دفئا اشتاقوا اليه وأغرت الكل بالحركة والحرية : بالتخفف من الملابس الشتوية الثقيلة ، وبالنزهة وبالخروج ، وفتح نوافذ البيوت لتمتلىء شمسا ، واخراج الاشياء للساحات لتجف بعد الرطوبة ، وانجاز بعض الاعمال

وكنت أول المغرورات بعطاء هذا اليوم الجميل فاندفعت أقلب البيت شطفا وتنظيفا وترتيبا استقبالا لفصل الربيع الجميل مغيرة جو العمل الصحفى المكثف الذى غرقت فيه أسابيع متواصلة ،

وفجأة رن جرس التلفون ففزعت اليه اننى أخاف من الاجراس سواء صادرة من الباب أو من التلفون وأحب السكينة المطلقة وأفضل أن تصدر منى أنا الرغبة فى لقاء الآخرين لا أن يفاجئونى ويفرضوها على لان مزاجى ليس عاديا وينقصنى الكثير من النفاق الاجتماعى وأخشى أن لا أحسن الاستقبال ، وخفت هذه المرة أن يفاجئنى ضيوف وحالة البيت لا تسمح ؛ فهذا حسن زوجى غارق فى الشغل وفى خلائط مواد البناء فى مشروع لنا بالحديقة ، متعب يحلم بقيلولة لنا مريحة فى جنة وارفة الظل معطرة بأنفاس المودة ، وهذه أنا فى ملابس شغل البيت كأنى خادمة حازمة ، وهذا الغداء قد قدمت أطيبه للعمال ، وليس لى استعداد لاطبخ من جديد ، وهذه الاشياء مبعثرة فى الحديقة تنفر القادم من بعيد .. لا .. لا يمكن ان نستقبل أحدا أبدا فى هذه الظروف

ورفعت سماعة التلفون وانا أقول فى قلبى : يا ساتر استر

واذا بالمتكلم على الخط سيادة مدير المجلة التى أعمل فيها : انه أديب محترم وشخصية مهمة ولا يتصل بالناس عبثا ، ودق قلبى دقات سراعا وأنا

أهلل وأرحب (من شفتي لا من قلبي) بمكالمته اللطيفة وسؤاله عن أحوالي ثم قال :

ـ اسمعي يا رجاء لا تقولي لا ، فان ما أدعوك اليه مفيد لا يتكرر دائما معي في السيارة الآن ونحن في الطريق اليك كاتبة أجنبية شهيرة طالما حدثتكم عنها وأنت على مقاعد الدراسة ، انني آخذها الى غداء شرفي في فندق قريب من سكنك وأرى من المهم جدا ان تستجيبي للدعوة لفائدتك الخاصة وأنا أعرف اهتماماتك الادبية ، ثم للقيام معها بتحقيق صحفي جيد نتعاون عليه ، سنكون عندك بعد ربع ساعة وانتهت المكالمة من الجانب الآخر والسماعة في يدي وفمي فاغر ولم أستطع ان اقول شيئا .

ونظرة الى المرآة بعد دقائق جعلتني أبتسم : لقد تغير منظري بلبس الجميل الزاهي وبشيء من الزينة الخفيفة من سيدة بيت عادية جدا الى سيدة صالون جميلة تسر الناظر وتبهج المتحدث وقبل ان تصل سيارة المدير أشرفت على الحضيرة وأنا في كامل استعدادي الموصوف وناديت :

ـ حسن

التفت حسن وقد كان مقرفصا يبلط السقف ، لم يجبني بسرعة ، لقد صعق من هيئتي الدالة على استعدادي المفاجيء للخروج ، نظر الى شزرا في استغراب وتساؤل صامت !

صحت به من جديد :

ـ حسن اني خارجة

رمى آلاته من يديه وقفز من سطح البيت الى سطح السور ، تمشى فوقه كالنمر المدرب ؛ وقريبا من موقفي سقط كنسر ينقض ، وكلمني بلهجة ساخرة والشرر يتطاير من عينيه وارتعاشه لا يخفى :

ـ الى أين ! يا سيدتي الجميلة !؟

ـ عفوك حبيبي . جاءني تليفون مستعجل من سيادة المدير يدعوني فيه الى عمل طاريء

ـ ولكن أنت في يوم عطلة ولنا برامجنا

ـ ماذا أفعل انه شغل الصحافة لا يعترف بالعطل

ـ الى أين تقصدين هل الى ادارة المجلة ؟

ـ لا .. بل الى نزل قريب
ـ حسنا ولماذا تجملت كل هذا التجمل
ـ هكذا خطر لى ،، انه يوم دافيء وقد غيرت ملابس الشتاء الثقيلة بملابس الربيع الزاهية الخفيفة
ـ اننى لم أرك قبل بمثل هذا الجمال !
ـ شكرا ستراني مع الربيع دائما جميلة .
ـ ولماذا لبست هذا الحذاء الجديد ذا الكعب العالى لم أعهدك تلبسين مثله .
ـ لاننى سأركب سيارة فهو لا يتعبنى ويجعلنى أبدو لائقة اكثر بالمناسبة
ـ يا سلام امرأتى تتحدانى !
ـ أين التحدى يا حبيبى ؟
ـ أو تحسبيننى مغفلا الى هذا الحد ؟
ـ لا تتكلم هكذا ليكن بيننا التفهم والثقة !
ـ ولكنى أرى بعينى المهازل !
ـ أبدا يا عزيزى أنت تعرف محبتى واخلاصى
ـ ولكن الذى أراه ماذا يسمى ؟
ـ ماذا رأيت ؟
ـ تنصبين لى الاحابيل، تجعليننى أشقى نصف يومى فى البناء ونصفه الثانى تجعليننى حارسا للبيت وتواعدين مديرك فى نزل وتتجملين له كل هذا التجمل وتصارحيننى بأن لك لباسا خاصا لاصحاب السيارات تشيرين الى أنى فقير وليس لى سيارة لافسحك فيها وآخذك الى الفنادق ! لماذا تزوجتنى يا ظالمة ؟ ماذا أفعل بك وبمديرك ؟
ـ انك تفاجئنى بهذا الكلام الغريب ؟!
ـ من الذى يفاجيء صاحبه ويتحداه ؟
ـ انك تهيننى !
ـ من الذى يهين صاحبه ؟ الزوج يبقى فى المنزل ليرتبه وينظر فى شؤونه والزوجة مع صديقها فى سيارته الى أحد الفنادق
ـ حسن اعقل وافهم الامور على حقيقتها ولا تتحامق أمام المدير والسيدة التى معه

قال بتهكم :
ـ من هي يا ترى ؟
(ورأيت أن تخلصا صغيرا قد يلطف الموقف)
قلت :
ـ قد تكون زوجته .
وجاءت سيارة المدير وأسرعت بالخروج وانا أقول :
ـ عزيزى سأحاول ان لا أتأخر اننى آسفة لتغير البرنامج ولكن سنعوض كل شيء لا تنس ادخال الاشياء من الحديقة فقد يتغير الطقس

ـ لا تطمعى فى هذا سأرمى كل شيء من يدى ، سأطرد العمال وقد أنسى الابواب مفتوحة وسأخرج أهيم على وجهى فى الشارع .

ولم أجبه ارتميت مذعورة فى المقعد الخلفى للسيارة وأنا أرتعش خوفا من حماقة قد يرتكبها هذا الزوج الغر الصغير المجنون

وسلمت على مديرى وضيفته باضطراب وأشرت الى الطريق .

صارت الاشجار على جانبى تتهافت كأنها تجتث من أصولها ويطوى الاسفلت نفسه تحت عجلات السيارة وضباب من دمع التحير أغرق بصرى ، وشيء من صداع الفكر خفف وطأة استماعى لما يدور أمامى من حديث وسرحت فى عالمى الغريب المخيف يا للورطة !

لقد وعدنى قبل الزواج بكل ما هو جميل بين أمرأة ورجل يكافحان فى هذه الحياة من أجل عيش أفضل وقيمة أحسن . قال انه سيفهمنى جيدا ووعد بأن لا يعترض طريق عملى ولا هواياتى أبدا ؛ قال انه أحبنى بجنون وارتبط بى بعد عميق اقتناع ! كيف صدقته ؟ هل نسيت أنه رجل يعيش فى مجتمع متخلف ! لا يرى فى المرأة الا وسيلة لسعادته الخاصة بأى شكل يرتضيه حتى على حساب شخصيتها وعملها وراحتها

ما الذى تخبئه لى الساعات القادمة ؟ هذه أول مرة اتصادم فيها مع حسن لم يمض على زواجنا الا بضعة شهور عشناها كالاحلام الجميلة من شدة لهفة الحب والرضا والتفاهم ؛ هل اكون قد أخطأت وأسأت اليه وانا لا أدرى ؟ لكن كيف ؟ لقد شرحت له الظرف الطارىء وانا معتمدة على الثقة والتفهم الذى بيننا ، ثم انى أكره الاسر وأكره الغيرة المجانية والحمق فى سلوك الاحبة ويجب أن اتشبث بمبادىء لكى لا أتحطم من جديد هل كان على ان أدعوه لمصاحبتى ! لكن هذا لا يمكن يجب ان يحترم كل منا ظروف عمل صاحبه وتوابعها ولوازمها ، ولو كان هو صحفيا أو مرشدا سياحيا أو مزينا

للنساء أو رجل مباحث كيف كنت أتصرف معه . طبعا كالكثير من النساء العلاقات ، سأتفهم كل ظروف عمله واعتمد فقط على المحبة والثقة ، يجب أن أقنعه بهذا يجب أن أعوده عليه ، ان الطريق ما زال طويلا وهذه أول مرة أروضه فيها .

وطيلة الوقت الذى صار فيه الغداء الشرفى والحوار المتنوع المفيد كنت سارحة مع أفكارى الخاصة عاجزة عن التركيز أمثل على غير المعتاد أفشل صحفية عرفتها الجرائد والمجلات .

وعندما أنزلتنى سيارة المدير فى الطريق العام البعيد عن بيتى بطلب منى تحاشيا لرد فعل سيء قد يحدث ، وجدت « حسن » يتمشى وهيئته كالمجنون الهارب من المارستان أو كالرجل الذى فقد شيئا هاما وهام بحثا عنه وتخمينا

وما خشيته وقعت فيه ، رآنى حسن واستقبلنى مشتعلا بالغضب وراح يعصر أصابع كفيه :

ـ هل كانت أمسية رائعة ؟

ـ أعتذر يا حبيبى عن التأخر لقد تشعب الحوار وسرقنا الوقت

ـ طبعا كنت مطمئنة فقد تركت كلبا يحرس البيت

ـ كلام لا معنى له أرجو ان لا تعود الى مثله

ـ نزلت من الباب الامامى للسيارة هل المدير يحبك أكثر من زوجته

ـ انها ليست زوجته انها ضيفة المجلة

ـ ولماذا كذبت ؟

ـ ليس كذبا بل تخلصا أجبرتنى عليه لكى تهدأ ولطالما أجبر الناس بعضهم على مثل هذا وأكثر !

ـ ولكننى لم أهدأ اننى احترق

ـ لم يحصل شيء ذو بال حتى تشعل هذه النار

ـ وماذا سيحصل أكثر هل ستستقبلين صديقك فى البيت فى المرة القادمة

ـ أمر عادى ان تعقد جلسة عمل فكرية فى بيت

ـ سأنتف شعرى ، سأكسر رأسى

ـ كف عن الهذر يا هذا لقد بدأت أفقد صبرى

ـ وعندما تفقدين صبرك ماذا ستفعلين يا سيدتى المحترمة ؟

ـ وهل تشك فى أننى محترمة ؟!

ـ المرأة المحترمة لا تفعل ما فعلت .

ـ طبيعة عملي ومستواي الثقافي يفرضان علي أمورا كثيرة وعليك بالتقبل والتفهم هكذا اتفقنا منذ البداية ، ولو تبادلنا المواقع لما تصرفت مثل تصرفك

ـ انك امرأة وأنا رجل وما يجوز لي لا يجوز لك

ـ في حدود المعقول كل شيء يجوز

ـ أرجو أن تفقدي صبرك لارى ماذا ستفعلين ؟

ـ أنت تلح وهذا ليس في صالحك

ـ هل يعني هذا الكلام أنك تطردينني من بيتك ؟!

ـ هل تزوجتك رغم معارضة الجميع ورغم كل التباين الذي بيننا ودعوتك لتقيم في بيتي ثم أطردك بعد أسابيع ؟!

ـ لعلك تعتقدين انك مهمة وأنني فتى فقير حقير جاء ليخدم ويبني ويجلب الحاجات من الشارع ويؤانس السيدة ثم يخرس : فلتعلمي يا هذه ان الرجل يبقى يفضل المرأة دائما لانه رجل

ـ ان كنت انا مهمة في ميداني فانت أيضا مهم في ميدانك والناس يكمل بعضهم البعض

وأضيف : إن الحياة الزوجية محبة وتفهم وتعاون واذا كنت تقدم لي بعض الخدمات فانك تنال مني مثيلها وأكثر

ـ أنا لا أفهم سوى ان المراة مرأة والرجل رجل

ـ ماذا تعني بذلك ؟

ـ على المرأة أن تطيع زوجها وتخدمه وتحافظ على شرفه

ـ ولماذا لا تقول : على كل من الزوجين ان يحب الآخر بثقة ويعاونه على أن يحيا سعيدا ، والآن فقدت صبري وفقدت أعصابي معا ولم أكن أبدا أنتظر منك هذا التصرف الاحمق لقد تركتك في عمل أنت مأجور عليــه ؛ عــادة تتوقف الحضائر في الساعة الخامسة بعد الظهر ثم اني مثلك حرة في شخصي وفي عملي وفي جميع شؤوني. وعلاقتي بك علاقة صداقة حلوة كان كلانا بحاجة اليها تمتنت كللناها بالزواج بحسن نية مني ، فاذا كنت قد انقلبت الى زوج خرافي جاهل متهور غير متفهم مثل غيرك من أزواج المجتمع المتخلف عندما يصادفون امرأة واعية وذات مسؤوليات ، فاذهب يا حبيبي الى الجحيم وخل طريقي الآن فاني داخلة الى بيتي فأعمالي الكثيرة تنتظرني .

ـ معنى هذا أن أذهب فى حال سبيلى ؟ حسنا انى ذاهب ولقد افتعلت هذا التشويش لكى أغضبك وها اننى اكتشف الحقيقة هل تسمحين لى بدخول البيت لاخذ حاجياتى ؟

ـ ما فعلته يا عزيزى ليس افتعالا بل خرقا للاتفاق وقد يتعين عليك ان تتحمل نتائج تصرفاتك ، والآن تفضل ندخل الى البيت ونتسامح انى غافرة لك .

ودخلنا ..

صحيح كنت خائفة ومضطربة ومنزعجة جدا ولكننى لم أتصور أن سيحدث ما قد حدث

أول ما عتبنا دخل البيت انقض حسن على الباب فأرتجه جيدا وانقض على صارخا كالوحش الكاسر ونحن فى الردهة بين الغرف

ـ اخلعى ملابسك فورا .. نعم هنا فى الردهة !

ـ لاية مناسبة ؟

ـ لافحص جسمك الخائن لارى آثار الرجل الذى فضلته على لمكانته وسيارته

ـ العن الشيطان

ـ لا يوجد شيطان غير المرأة

ـ احترمنى واحترم نفسك لا تقض على سعادتنا

كان يرجنى من كتفى ويرمينى من حائط الى حائط ويتشبث بملابسى يريد ان يمزقها

ـ انطرحى أرضا واتركينى أمارس معك عملية اكتشاف أثر

ـ اخجل فانك تجاوزت الحد

ـ وهل خجلت أنت لاخجل أنا ؟

ـ تذكر انك لست مع امرأة التقطتها من الشارع ، تذكر انك فى مكان محترم وفى ظروف انسانية ما كنت لتحلم بها وأنى خرجت فى شغل مشروع نستفيد منه جميعا

ـ مغفل من يعطى أهمية أو ثقة ما لامرأة

ـ لماذا غررت بى يا هذا؟ لماذا تصرفت فى أيامنا الاولى كأنك العاقل الوحيد؟ تذكر أنك فى النهاية ستكون انت الخاسر

ـ التصرف قبل الزواج والتصرف بعده أمران مختلفان الم يصلك هذا النبأ بعد !؟ ثم انى لم أتذكر شيئا لا الماضى ولا المستقبل أريد أن أصفى معك حساب اليوم

ـ اسمع يا هذا الليلة لن تنالنى ولو مزقتنى قطعا لانك تشك فى وتهيننى برغبة الحيوان التى تملكتك ،، الحب عندى لن يمارس الا اذا كان حبا لا كراهية

ـ ان ظنونى تكبر باصرارك هذا لقد رفضت اليوم ان تأكلى معى لتحتفظى بمزاجك كاملا لصديقك .

ـ لم تكن رغبتى فى الطعام اليوم متوفرة حتى فى الخارج لم آكل بشهية ،، انك تخسرنى بهذه الاساليب ،، الا توجد عندك قيم أخرى يا رجل الا قيمة الجنس !؟ ما الذى يضطرنى الى ما تتوهمه ما دمت سعيدة معك ؟ ولماذا تشك فى رجولتك بكل هذا القدر ؟

ـ ماذا تقولين ؟

ـ نعم الا تعرف ان الرجل الغيور الذى يشك فى زوجته انما هـو فـى الواقع يشك فى قيمته هو كانسان وكرجل

ـ أنا لا أفهم فلسفة المثقفين هذه ، أنا لا أفهم الا ان أنالك حالا لاتبين كل شىء

ـ مخطىء جدا ،،انك لست طبيبا لتتبين شيئا ، ويستحيل أن أساعدك على الخطأ ، انا لست وعاء يستقبل توترك العنيف هذا ،، انا امرأة أنا انسانة، ظننت أنى عثرت معك على حب كبير يفهم ويغفر ويدفع لكن وا أسفاه مكتوب على مثيلاتى أن يعشن القحط أو للاستقرار ،، حقوقنـا الطبيعيـة فى العيش العاطفى الكريم هربت منا يوم دخل الوعى الشديد الى عقولنا

وا أسفاه لم أنجح مع زوجى الاول رغم أنه كان زميلا لى فى الجامعة ،، عاملنى مثلك تماما ،، هدم أحلى سنوات عمرى بألوان غيرته ،، كان يغار من عملى ،، من اسمى المطبوع على الجرائد من هواياتى الفكرية ، مـن نجـاحـى الاجتماعى ، يغار حتى من طريقة كلامى ومعالجتى للمواضيع ؛ فيصوغ عقده فى شكل غيرة عاطفية ويدعى انه يشك فى اخلاقى بسبب نشاطـى ويـظـل يسود عيشى ويهيننى ويضربنى ويغلبنى لانه رجل صوته أقوى من صوتى وذراعه أطول وكفه ضخمة . حتى تهدم البيت الذى بنيناه وتـوزع الاطفـال الذين أنجبناهم وضاع شبابى فى مفترق الطرقات !.. ليس سهلا لامرأة مثلى موزعة بين عديد الواجبات والهوايات وشديدة الحساسية أن تجد من يجدد

معها الحياة ويرتق فتوق قلبها المتجرح بسكاكين التخلف وشريعة الغاب ونظام استغلال الانسان لأخيه الانسان الذى يسود العالم والمتاخر منه بالخصوص حتى جئت أنت يا فتى أصغر منى سنا لم تجرب مثلما جربت ،، ولم تكلف نفسك عناء البحث عن أسرار الحياة بين بطون الكتب ،، تعلمت صناعة البناء صغيرا وتشردت فى الازقة والشوارع والمقاهى تنجح وتفشل وتأخذ من مدرسة الحياة الكبيرة أفتك دروسها ولكن ذكاءك كان يصاحبك وكان يوفر لك الكثير من تدبير الحال ..

والتقينا .. وربط بيننا عمل فى حديقتى ؛ وطال العمل بسبب المطر والبرد وبسبب شيء من التراخى المعروف عند أصحاب مهنتك ؟! ودعوتك لشيء من الحديث والدفء فقد قدرت فيك الذكاء والطيبة والتهيؤ لما هو أحسن ، واستجبت

وبدأت الظروف تنسج قصة تجاوب عاطفى غريب بينى وبينك ،، لم أكن من ناحيتى قد حددت لها لا البداية ولا النهاية وأما أنت فقد كانت حلمك بالليل وهدفك بالنهار

غير ان الناس سريعا ما تفطنوا فتدخلوا وضجوا وقالوا : هذا غريب وهذا عجيب وأرادوا أن يفرقوا بيننا وتحملت أنت الاذى والاذلال من طرف الاهل والاولاد : ابعد عنها يا فتى إنكما لستما متناسبين ، لا تشوش حياتها فانها تحاول ان تكون هادئة من أجل أولادها من أجل سمعتها ، من أجل مكانتها فى المجتمع ، كانوا يقولون ذلك ويطاردونك وحاولوا أن يضربوك وكنت لا تواجههم جميعا الا بالبكاء والالحاح والوعود الطيبة : لقد أحببت هذه المرأة وسأرعاها بعينى سأموت ان أبعدتمونى عنها ،، سأقتل نفسى ، ورأيت من حبك العجب رأيتك تتجمد بردا على سطح منزل مقابل تبنى طابقه الاول لكى تقضى الوقت تتحسس خطواتى وتبحث عن ظلى ، رأيت أثرا لتقطيعك لحمك بموسى حلاقة لكى توشم عليه اسمى وتاريخ تعارفنا ، رأيتك محموما مهموما عندما أغيب عنك أياما ، رأيتك تقبل يدى تكويها بنار غرامك وتنحنى لتقبل رجلى لكى أرضى عنك وأقبلك خادما عندى ،، رأيتك تهيم على وجهك تتوقف عن عمل أى نشاط فى الحياة الا نشاطك فى حبى وخدمتى اقسمت لى أن لا تكون شريرا ولا عاصيا لربك وأن تنسى حياة الخمارات والنساء الرخيصات والتسكع وليالى الرقص المجنون على نغم الطبل والمزمار فى الاعراس الشعبية وأن تراضى والدك الذى عققته ،، ناشدتنى أن أنقذك من الضياع وان اصنع منك رجلا .

وخففت متاعبى ، عشت معك فى دنيا مسحورة من التفانى والعشق وانا التعبانة المحرومة .. واضطربت بسبب كل ذلك أفكارى وتخميناتى وقلت :

ـ ما الذى أبغى من الرجل أكثر مما يوفره لى هذا الانسان وانا لا أعشق المال ولا المظاهر .. لماذا يتزوج الرجل المثقف المتكون ذو المستوى الاجتماعى الطيب امرأة عادية بسيطة وقد تكون أمية عندما يجد أنها قادرة على اسعاده بيتيا .. لماذا لا أقلب الآية اجرب لعلى انجح .. أتزوج حسن لاتخلص من عذاب الوحدة فيوفر لى الحب والخدمة وأبادله ذلك .. لا يهم التباعد العقلى والثقافى والاجتماعى بيننا يكفى أن نتفق على تبادل الاحترام والتفهم والتعاون وينجح الواحد منا فى عشق جسد الآخر وستمضى الحياة جميلة .

ووافقتك على الزواج وكدت تطير من الفرح فبشىء من التحليل والنظر يحق لمثلك ان يمتلىء زهوا : شاب لا يحمل الابتدائية ضائع فى هذه الحياة ليس له عنوان يجد امرأة تمتلىء رقة وانوثة ثقافتها عالية وتجاربها متنوعة ركزت نفسها ماديا وركزت نفسها ذهنيا تبادله الحب والتعاطف والنصح والمنفعة فى وقت صعب تشعبت فيه أمور الناس واصبحت آمالهم تضيع مع هدير محركات الحضارة فيرضون أخيرا بان يعيشوا حياتهم يوما بيوم !. وبالزواج يا حسن سكت الكل وتخلوا عنا ليتفرجوا على التجربة النادرة وينتظروا نتائجها

ووفرت لك شهرا عسلا كنت لك وحدك أحاملك وألاطفك وأخدمك وأنزل بفكرى وسلوكى الى حدودك كى أنمى ثقتك بنفسك وارفعك الى تقبل حياة أرقى ؛ ولم أكن أدرى أن جذور الرجل العادى الانانى ستستيقظ فيك يوما بمثل هذا العنف وهذا الحمق وان تقدر على التناسى وتقدر على الاذى ويعميك حب التملك)

ـ يا حسن انى صدمت انى صعقت انى بحاجة الى أن أكون وحدى هذه الليلة .. لا تكلمنى لا تناقشنى لا تعذبنى أكثر انى داخلة هذه الغرفة رجاء لا تطرق على الباب فانى لن أفتح لك .

ودخلت واغلقت على نفسى الغرفة بالمفتاح وارتميت على المقعد أبكى ضياعى أبكى هزائمى المتواصلة فى هذه الحياة .. أبكى حظ المرأة العربية أينما كانت تتحطم أعصابها ويضيع وقتها فى مثل هذه التوافه بينما عجلة الزمان تدور وركب المجتمعات الراقية يزداد رقيا .. أبكى شريعة الغاب عند الناس حيث يقهر القوى الضعيف سواء كان أخاه أو زوجه أو جاره أو مرؤوسه وجاءنى صوت حسن من خارج الغرفة المغلقة :

ـ رجاء افتحي الباب انى بحاجة الى مواصلة الحوار معك

ـ أرجوك يا حسن لا تلح فقد تصدع رأسي تعبت .. تسـل بـأى شيء آخر غيرى ودعنى لهمى

ـ لا .. يجب ان تفتحى انى احبك .. أحبك بجنون .. بحمق .. بأنانية .. أحب حتى الخصام معك .. اعتبرينى طفلك الذى يعيش من صـدرك الحنـون ويموت عطشا وجوعا ان ابتعدت عنه .. اعتبرينى مريضا .. مجنونا .. تعالى عالجينى .

ومن خلف الباب كلمته :

ـ يا حبيبى افهم لم يكن هناك داع لكل ما فعلته .. الحب الجميل ليس تملكا ولا جنونا وليس مرضا وليس أنانية .. الحب الجميل هو أن ترى صاحبك سعيدا مشتاقا يقبل عليك من تلقاء نفسه ، أما الذى فعلته اليوم يا حسن فانه عين الخبال فدعنى من فضلك .. انى متوترة كارهة نفسى فـلا تجبـرنى على شيء ، سأتلفن الى أختى تأتى بسيارتها لتأخذنى عندها الليلة قبل ان ينشق صدرى من الالم وتتحير أوجاعى ويصيبنى الذهول الذى تخاف منه .

وما ان نطقت بهذه الكلمات حتى أخذ حسن يضرب على باب الغرفة بكلتا يديه ويصكه بكلتا رجليه

ـ افتحى والا كسرت الباب تهددينني بأختك وبزوجها رجل البوليس سأقتلك قبل أن تستطيعى الاستنجاد بأحد وقبل أن تفكرى مطلقا فى أن تهجرينى أو تستبدلينى ،، سأقتلك وأقتل نفسى

« يا رجاء انك فى خطر .. هذا الاحمق يستطيع أن ينجز شيئا من تهديده ان لم ينجزه كله .. اسرعى الى التلفون لعل جديدا يجد .. لقد لمح كثيرا فى ما مضى لمثل هذا التهديد »

وقبل ان أتم ادارة الرقم الذى أبغيه من الهاتف تمكن حسن وكسر باب الغرفة ودخل كالصاعقة .. خطف التلفون من يدى ورماه على الحائط وانقض على كالغول الهائج وضربنى بكل عنف بكل وحشية بكل حقد جميع الرجال على جميع النساء .. كانت كفه غليظة صلبة كقطعة من الحجر (طالما قبلتها

ولاطفتها متوددة) وبها ضربني على أذني وعلى أنفي وعلى خدى الاول وعلى خدى الثاني . كان الضرب مؤلما أعماني وأصمني وأسال الدم من أنفي ومن أسناني وأسال الدمع ساخنا غضا ، ولكن الذى آلمنى أكثر هو مجموعة الشتائم البذيئة لبنات جنسي والنعوت الظالمة التى دخلت قلبي الخائف من هذا الانسان المفترس .

وبالرغم من أن شيئا من الاغماء قد أصابني مع كثير من الصداع وأنا أئن كجريح الحرب الذى اخترق جسمه رصاص الهمجية فقد تمكن عقلي من أن يبقى صاحيا

(يا رجاء بأى منطق يمكن أن تتفاهم امرأة مع رجل في مثل هذه الحال ؟ لو كانت كفى أغلظ من كفه هل كان يضربني .. لو كانت عضلاتي أقوى من عضلاته هل كان يضربني ماذا أفعل هل أقاتله فيقتلني حقا .. هل تحدث جريمة ما الليلة ! لماذا هل هناك اسباب كافية لكل هذا العنف وذاك اللجاج ،، المؤسف حقا ان هذه المهازل تتكرر في كثير من البيوت في جمع انحاء الوطن العربي ،، ثم يتساءلون لماذا لا تتقدم المرأة !؟ ثم آه وألف آه لو كنت أعلم أني سأحتاج الى مادة العنف في حياتي لتعلمت المصارعة وفن القتال منذ صغرى ،، لو دعى هذا الشاب للجندية لو دعي للحرب لو دعي للخدمة المدنية ليفيد بكفه الغليظة وذراعه المفتولة لكره وتكاسل وربما هرب واختفى أما أن يستأسد على امرأة رقيقة ويستجيب لانانيته ، للشيطان الذى يسكنه ، للجنس الـرخيص المتسفل الذى يسيطر على كيان أكثر الرجال ، لعقد الآباء والاجداد فنعم !. لقد سبق ان ضرب أختا له مثل هذا الضرب لانها أحبت . فطردته أمه المطلقة من بيتها الى الابد .. لقد هدد أباه بشيء ما فطرده الى الابد .

وجئت انا طيبة مثالية غريرة أردت أن انقذه من الضياع والجوع الى الحنان وأنقذ نفسي من انشطار ذوى المستويات .. وها أني ألقى جزاء معروفي وجزاء سذاجتي وغبائي الكبير وجزاء تلبسي بفكرة الانشطار التي كنت أعيبها على بعض المثقفين من الرجال) .

عندما استرخت عضلاتي وخانتني ركبتاي سقطت على البساط أنشج آلامي الظاهرة والخفية..عندها كف حسن عن ضربي وشتمي ، انحنى يقلبني ويقلبني ويقول :

ـ آه ما أشهاك .. اغفرى لى اغفرى لى انى احبك

وطبعا لم أتكلم ولم أغفر .. تربصت بقدرى الذى أسلمنى الى جلاد جديد .. أخذنى حسن الى المغسلة غسل دمى ودمعى وأخذنى الى غرفة النوم رمانى على الفراش بعد أن بدل ثيابى وعطر نفسه وعطرنى قبلنى كثيرا غسلنى بدموعه.. أزعجنى بحشرجة توسلاته ،، حاول استثارة أنوثتى .. لكن وابعداه .. لقد أماتت السادية هذا الرجل أحاسيسى اليوم كما أماتتها من قبل مع الرجل الآخر حين كان يعاملنى نفس المعاملة .. أغلقت عينى وأغلقت فمى وأغلقت قلبى وأغلقت كل مسام جسمى واختلط على الحاضر الاليم بالماضى الاشد ايلاما

وكما أمات حسن أنوثتى بعنفه وجنونه قدرت أن أميت رجولته بصمتى وانغلاقى ولا مبالاتى

وبعد الحمى الشديدة التى تملكتنا كل بسبب ما ولهدف ما جاء سلطان النوم ليحيل كل التوترات الى هدوء وموت مؤقت .. وبتنا ننتظر الصباح .. ترى ما الذى سيحمله لنا الصباح ؟

سأتوقف الآن عن الكتابة لقد تعبت وسأحكى لكم بقية القصة فى فرصة أخرى وانها لدامية وغريبة غرابة الخيال فالى اللقاء

فاطمة سليم

الزهراء سبتمبر 1979

دَوْر وَسائل الاعْلام وَمَدى مُساهمتها في التنمية الوطنية

بقلم: عبد الله الكحلاوي

يشكل الاعلام باهدافه واوجه استخدامه (1) . وما ينطوى عليه من تبادل المعلومات ومعالجتها ونشرها ، عنصرا جوهريا من عناصر كل مجتمع انسانى يصبو الى التطور ٠ وهو يعتبر شرطا أساسيا من شروط تقدم الوحدات المكونة لهذا المجتمع ٠ وان الفروق التى ما تزال قائمة ـ داخل كل مجتمع ـ بين مختلف الفئات الاجتماعية تؤدى حتما الى الاختلال والى تفاوت حاد فى مجال الاعلام وتبادل المعلومات والمعارف وبالتالى فى مجال معطيات التنمية التى تعتبر اساسا لاتخاذ القرارات المنظمة للمستقبل ، وتعرقل هذه الفروق من جهة أخرى مشاركة الافراد الفعالة داخل المجتمع ٠ واذن فما هى الوسائل، وما هى ابعاد تأثير وسائل الاعلام فى مجال التنمية لبلدان العالم الثالث ؟ وما هى الخطة الاعلامية التى يمكن اتباعها لتحقيق برامج انمائية اجتماعية او إقتصادية متوازنة ؟ ٠

تجدر الاشارة فى هذا المجال الى الابحاث التى وقع القيام بها فى مجال دور وسائل الاعلام فى التنمية ، وتعتبر أبحاث « دنيال لرنار » (2) (Daniel Lerner) من الابحاث الكلاسيكية ، ولكنها كانت المنطلق لباحثين آخرين ، ذلك ان لرنار (Dɒniel Lerner) اعتبر أولا أن الاذاعة والتلفزة هما

---

(1) هذه الدراسة اعدت خصيصا وقدمت فى الدورة الاقليمية التى نظمتها اليونسكو واتحاد اذاعات الدول العربية حول : « تقنيات الانتاج التلفزيونى من أجل التنمية والثقافة السكانية » المنعقدة بعمان من 30 جوان الى 13 جويلية 1979 ٠

(2) دنيال لرنار Daniel Lerner : The passing of traditionnel society Free Press, Glenol 1956.

وسيلتان تتجهان فى الوقت نفسه الى نوعين من الجمهور : جمهور مثقف ، وجمهور أمي • وقد ساهمت (الاذاعة والتلفزة) فعلا فى دفع عجلة النمو والتطور فى البلدان الست التى زارها دنيال لرنار سنة 1950 وهى تركيا ، لبنان ، مصر ، سوريا ، الاردن ، ايران ، ويلاحظ انهما (الاذاعة والتلفزة) خلقتا فى هذه المجتمعات متطلبات جديدة ، وآراء جديدة ، ويقظة سياسية اجتماعية • كما لاحظ د• لرنار (Daniel Lerner) أنه يمكن اعتبار مرحلتين فى التطور الحاصل نسبيا فى الشرق الاوسط : المرحلة الاولى وهى مرحلة التأثر البالغ بأوربا L'européanisation وقد شملت الطبقات العليا فى المجتمع . والمرحلة الثانية وهى مرحلة التحضر Modernisation وقد شملت طبقات اجتماعية عديدة • فالظاهرة الاولى كانت نتيجة تأثير دور وسائل الاعلام الطبقية كالتلفزيون والسينما والمسرح (3) . واما الظاهرة الثانية فكانت نتيجة لوسائل الاعلام الجماهيرية ، (4) ولا يمكن ان تحصل مرحلة التحضر داخل مجتمع من هذه المجتمعات النامية الا اذا اعتبرنا الشروط التاليـــة :

أ ـ التطور العمرانى
ب ـ محو الامية
ج ـ تطور وسائل الاعلام الجماهيرية
د ـ المشاركة السياسية

وتفاعل هذه الشروط الاربعة يؤدى بدوره الى خلق هياكل سياسية واجتماعية حية تشارك فيها كل اصناف المجتمع • واذا امكننا أن نقارن بين أوجه الاختلاف الحاصل بين المجتمعات المالكة لوسائل الاعلام والبلدان التى تنعدم فيها هذه الوسائل (وهى البلدان التى تغلب عليها وسائل الاتصال الشفوية) تحصلنا على المعادلات الآتية :

ـ تعتبر هذه المجتمعات النامية (المالكة لوسائل الاتصال الشفوية) من الوجهة الاقتصادية والاجتماعية **مجتمعات تقليدية** • بينما تعتبر المجتمعات التى تملك وسائل الاعلام الحديثة مجتمعات عصرية •

---

(3) وسائل الاعلام النوعية — 1° Moyen d'information de classe
(4) وسائل الاعلام الجماهيرية — 2° Moyen d'information de masse
جون كازنوف : cf° Cazenneuve Jean La Societe de L'ambiguité Donoel Paris 1262 Page 315.

أما في الميدان الثقافي ، فالمجموعة الاولى (اى التقليدية) وهى مجتمعات تطغى فيها الامية ، والثقافة الشفوية ، واما المجموعة الثقافية (اى العصرية) فهى مجتمعات مثقفة • واخيرا في الميدان السياسي فالبلدان النامية يسودها في الغالب نظام سياسي فوقي (يقع تعيينه من ألاعلى) بينما يتحكم في المجموعة الثانية (اى المتحضرة) نظام مشاركة غالبا ما يقع انتخابه من القاعدة (اى مشاركة الجماهير ـ الشعبية الكادحة والمثقفة ، والعاملة ...) •

تلك هى الفوارق التى توصل اليها دنيال لرنار (Daniel Lerner) عند مقارنته بين هذين المجتمعين • وانطلاقا من هذه الفوارق سلك هذا الاختصاصي في بحثه مسلكا هاما لابراز العلاقة المتبادلة (Corrélation) والمتواجدة بين الامتلاك لوسائل الاعلام ومعطيات النمو العمراني ورفع الامية والمشاركة في الحياة السياسية (الانتخابات) • واعتبر دنيال لرنار (Daniel Lerner) أن حلقة التنمية يجب أن تمر بأربع مراحل أساسية :

1 ـ يكون النمو العمراني العامل الاساسي والزمني في بداية انطلاقة تطور المجتمع • (Le Démarrage)

2 ـ محو الامية وهى أساس المرحلة الثانية •

3 ـ وتاتى وسائل الاعلام في المرحلة الثالثة لدفع عجلة النمو والتطور الناتجة عن المرحلتين الاولى والثانية (النمو العمراني + رفع الامية) .

4 ـ ونتيجة لهذه المراحل الثلاث تركز وسائل الاعلام على المشاركة السياسية الفعالة • فتعتبر حينئذ المدينة والمدرسة والمعهد ووسائل الاعلام من أبرز (العناصر) التى تهيء الانسان للنمو الحضاري .

وانطلاقا من هذه النظرية الكلاسيكية ذهب ويلبار شرام (Wilbur Shramm) (5) الباحث الامريكي في البحث الذى قدمه لمنظمة اليونسكو سنة 1961 الى تعيين مقاييس تساعد البلدان المتخلفة في سياستها الانمائية ـ على النهوض والتطور ـ وهذه المقاييس تتمثل حسب شرام Wilbur Schramm **في تخصيص مائة صحيفة** (100) **وخمسين** (50) **جهاز راديو وعشرين** (20) **جهاز تلفزة لكل ألف ساكن** (1000) من هذه البلدان كمؤشرات أو كحوافز للنمو والتطور .

---

(5) ويلبار شرام باحث امريكي : Wilbur Schramm / Information et développement national UNESCO 1961.

واذا أخذنا بعين الاعتبار هذه المقاييس تمكنا من طرح السؤال التالى : ما هو دور وسائل الاعلام فى بلد من بلدان العالم الثالث ؟ وما هى الامكانيات المسخرة من قبل الحكومات لانجاح هذه المهمة ؟ ٠

عند تأكيده على دور وسائل الاعلام ومدى مساهمتها فى التنمية القومية واعتمادا ـ دراسة لرنار Daniel Lerner ذهب ويلبار شرام Wilbur Schramm الى رسم هيكل عضوى ضبط علاقة جدلية متينة بين اجهزة الاعلام والتنمية الاقتصادية ٠

فقد أيدت الابحاث التى قامت بها اليونسكو فى نطاق مساعدتها للعالم الثالث هذه النظرية ٠ كما أن الباحث الهندى راؤول (Y.V.N. raol) انطلق وفى نفس النسق والاتجاه من الفرضية التالية : **هل أن النمو الاقتصادى هو المحرك الاساسى لتطور اجهزة الاعلام ؟ أم أن النمو الاقتصادى هـو نتيجة لتطور الاعلام فى بلدان العالم الثالث ؟** ووصل أخيرا هذا الباحث الهندى الى الاعلان انه لا يوجد سبب أول ، ولكن هناك تداخلا وعلاقة جدلية متينة بين العنصر الاقتصادى وعنصر جهاز الاعلام.وبالتالى هناك تأثير وتأثر متبادل بين الجانبين ٠ ولتأكيد مدى صحة هذا التأثير سنعتمد فى دراستنا هذه على جوانب وسائل الاعلام فى تونس وخصائصها مع الملاحظة ان مقياس شرام (Wilbur Schramm) يمكن أن ندخل عليه بعض التعديلات نتيجة لاختلاف الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من بلد الى آخر وخاصة بلدان العالم الثالث ونتيجة لتقدم وسائل الاعلام٠

يستنتج من تحقيق قام به المعهد القومى التونسى للاحصاء سنة 1975 ان معدل مصاريف الفرد الواحد ارتفع سنة 1975 الى 170 دينارا (سنويا) (6) ٠ ان مقارنة نتائج هذا التحقيق بتحقيق سنة 1966 يبين لنا ان المعدل السنوى للمصاريف بالنسبة الى الفرد قد ارتفع من 94 دينارا الى 170 دينارا حسب اسعار 1975 ٠ فارتفع معدل هذه المصاريف من 163 د٠ الى 272 دينـارا فى المدن الكبرى ومن 87 دينارا الى 172 دينارا فى المناطق العمرانية المتوسطة ومن 70 دينارا الى 123 دينارا فى الاوساط الريفية ٠

واذا درسنا هيكل ميزانية الطبقات المتوسطة حسب نوع المصاريف لاحظنا ان الميزانية ما تزال خاضعة لسيطرة القسم الغذائى الذى يمثل معدلا يساوى 43٪ من الميزانية العائلية ٠

(6) الدولار = 430 مليما تونسيا (أى ما يعادل النصف دينار تقريبا) ٠

وهذا الجدول يدلنا على ذلك :

تجزئة مصاريف العائلات بالدينار التونسى :

	المدن الكبرى	الطبقات العمرانية المتوسطة	الوسط الريفى	المجموع (7)
التغذية	38 دينارا	41	49	43
السكن	27 دينارا	26	20	24
اللباس	9 دينارات	9	10	9
الوقاية والعلاج	5 دنانير	5	4	5
النقل	7 دينارات	5	5	6
مصاريف اخرى	14 دينارا	14	12	13

نلاحظ أن الفرق الكبير فى الاستهلاك الغذائى الذى يخصص له المقيمون فى الريف حوالى 50 فى المائة (50٪ من ميزانيتهم (بما فيها الاستهلاك الذاتى) مقابل 38٪ فقط فى المدن الكبرى و 20٪ فى الوسط الريفى الا انه من حيث الكم تبقى المصاريف الغذائية فى المدن الكبرى متفوقة على مصاريف الوسط الريفى (105 دنانير مقابل 60 دينارا فى العام بالنسبة الى الفرد) كما نلاحظ ايضا ان قسم السكن قسم غذائى يمثل القسط الاكثر اهمية بنسبة 24٪ من مجمل الميزانية • وقد اظهر التحقيق حول الاستهلاك الذى اجرى سنة 1975 أن حوالى 50٪ من السكان ينفقون دون 100 دينار اقل من 50 دينارا اى بنسبة 16،1٪ •

من 50 دينارا الى 100 دينار اى بنسبة 34٪

---

(7) المخطط الخامس للتنمية الاقتصادية والاجتماعية 1977 _ 1981 ص 314 من بينها المصاريف المتعلقة بالثقافة •

من 100 دينار الى 200 دينار اى بنسبة 7ر31٪
من 200 دينار الى 400 دينار اى بنسبة 12٪
اكثر من 400 دينار اى بنسبة 9ر4٪

وعلى اساس هذه المعلومات تقرر بالنسبة الى المخطط الخامس (التونسى 1977 ـ 1981) تركيز برامج البناء على انجاز المساكن الاجتماعية ذات التكلفة المتوسطة ٠

المساكن	المخطط الرابع 1973 ـ 77	المخطط الخامس 77 ـ 81
ريفيـــة	15ر712 ٪21	40ر000 ٪20
قريبة من المدن	9ر829 ٪13	50ر000 ٪32
اقتصاديـــة	41ر205 ٪56	55ر000 ٪45
ريفيـــة	6ر710 ٪10	41ر000 ٪3

وطبقا لتعداد السكان لسنة 1975 تبين ان عـدد المساكن فى الجمهوريـة التونسية بلغ 1019960 مسكنا من بينها 92446 مـا زالت شاغـرة 9٪ ومعـل عدد الاشخاص الذين يسكنون فى مسكن واحد قدر بـ 6 افراد .

وهكذا نلاحظ تطورا ملموسا فى الميدان العمرانى قد واكب ارتفاعـا فى نسبة المثقفين من الشبان ٠ اذ ارتفع عدد الاطفال الذيـن يزاولون تعلمهـم بالمدارس الابتدائية طيلة السنوات التى تلـت الاستقـلال من 320000 طفـل مسجلين في التعليم الابتدائى سنة 1958 ـ 1959 الى 900000 سنة 1961 ـ 1970. والى 957107 سنة 1976 . ومن 170000 تلميذ مسجلين فى المعـاهد الثـانوية الى 195000 سنة 1976 . واذا ارتفعت نسبة الشبان الذين شملهـم التعليـم الديمقراطى الاجبارى فى كـل مراحـل التعليـم من 450000 الى 1236000 اى من نسبة 27٪ سنة 1956 الى 80٪ سنة 1976 (8) ـ وعلى هذا الاساس نتساءل هل واكب هذا التطور الثقافى والعمرانى تطورا في وسائل الاعلام كما وكيفا ؟

---

(8) تقرير حول مشروع المخطط الرابع نشر بجريدة لاكسيون 4 أوت 1973 .

السّفر في خارطة القلب المحزون

شعر : كمال قداوين

...وكالرّيح في الفلوات القفار ، هناك وقفتَ
لتعزفَ ألحانَ شبّابة الحُزْنِ ،
تخشى انقضاءَ الدقائقِ في ومضةِ البرْقِ
يا قلبيَ المُكفهرّ كيومِ شتاءْ ..
كواحةِ جدْبٍ يُضمّخُها العقمُ والقحطُ تخشى يداهمُها
الويْلُ ... تخشى الفتوحاتِ تخشى الدّمارْ ..
تبخترَ حلْمُكَ يا مرْتعا للأماني الجسام
وعمّرتِ الرّحبَ منكَ مساحاتُ تيه ...
فعدْتَ لتبْحثَ بين الفلول عن النسغِ
والحُسْب بعدَ الفجيعةِ ، بعدَ البوارْ ...
معي أنتَ يا أيّها الجُرحُ في كلّ دَرْبٍ ،
معي أنتَ يا أيّها الحُزْنُ حينَ تُسافرُ ليلا لتُضْحي
نجيعا مُخيفْ ...
وحتى التواءِ الأزقّة ، حتّى انثناءِ المسالك
حتّى ارتعاشِ الخريفْ ..
هُناكَ عرفتكَ دوْما تُطوّفُ وسْطَ الضباب الكثيفْ ...
وأعرفُ أنّ شجونكَ تكبُرُ ، تنمُو ، تطُولُ كثيرا ...
أراكَ تجفّ رُوَيْدا رُوَيْدا ...

وتَدْخُلُ في ساحِلِ البحرِ ، تبْحِرُ دُونَ شِرَاعْ ...
رَحَلْتَ ... وَقَدْ كُنْتَ تخرِقُ تِيهَ العُبابْ ...
وتغزُو بِحَارَ الصّرَاعْ ...
وَقَدْ كانَ تِرْحَالُكَ المُرّ يَضْرِبُ عُمْقَ الفِجاجْ ...
رَحَلْتَ وَأنْتَ تُناجِي نشيجَ الزّمَانِ العَقِيمْ ...
تُعانِي مِنْ العُمْرِ ذُلّ صِرَاعٍ قَدِيمْ !..
رَحَلْتَ وَأنْتَ كتابٌ مِنَ الدّمْعِ يغزُو العُيُونْ ...
رَحَلْتَ وَهَا أنتَ بَيْنَ الجَمِيعِ ، بعيدٌ عَنِ الكُلِّ ...
مُعْتَصِمٌ بالفَرَاغْ ...
رَحَلْتَ وَهَا أنتَ عَبْرَ انفِصالِ النّهاياتِ دوْما تَرُوحُ وتغدُو
وحيدا ...
تُنادِي وتدْخُلُ غَيْبُوبَةَ الصّمتِ ... تَمْكُثُ دَهْرا ...
فتَرْسلُ فيكَ السّمُومُ شواظا
يَزِيدُ اشتعالَ الحرائقِ في وَجنَتَيْكَ
فمَاذَا لو انتحرتْ فيكَ تلْكَ الشّجُونْ !..
وَتفرَغُ في جَوْفِ لَيلِ السّنينْ ؟.!
وَمَاذَا لو انطفأتْ منْكَ نِلْكَ الهَوَاجِسُ ،تلكَ الهُمُوم ،
لِتخْمُدَ نارُ العَذَابِ الحزينْ ..؟
رَحَلْتَ وَحَوْلكَ تَشْهَدُ كلّ العُصُورْ ...
بِأنّكَ وَحْدَكَ كُنْتَ تُصارِعُ قَهْرَ الدّهُورْ ...
وَأنّكَ مثلَ الغُرَابِ الجريحِ قبعتَ بعيدا عنِ الزّيفِ ...
لا تَرْغَبُ الإنْضِمَامَ إلى عُصْبَةِ السّوءِ ...
أقْعَيْتَ تَنْدُبُ حظا عوَتْ فيهِ أجْنِحَةُ الرّيحِ في كلّ فجّ ...
وَزَجّتْ بِهِ الهَادِرَاتُ بِوَسْطِ خِضَمِ بِحارِ السّكِينَةْ ،

فَيَا لَحْظَةَ مُرَّةَ أنْتَ فيها تجُرّ ذُيولَ الهَزِيمَهْ !...
تَلُوكُ الدُنَى فِيَّ سُجُــودْ ...
أعيذُكَ يَا قَلْبُ مِنْ كُلّ وَاشٍ حَقُـودْ !...
أجِبْنِي لِمَاذَا نَلُوذُ بِأرْضِ الضيَاعْ ؟.!
فَهَلْ طَوَّقَتْكَ جِبَالُ الهُمُـومِ ..؟
وَهَلْ حَاصَرَتْكَ الرِّيَاحْ ؟.. وَهَلْ زَمْجَرَ الرَّعْـدُ فـي
مَسْمَعِيكَ طَويلا ؟.. وَسَادَ بِوَادِيكَ سِرْبُ الضّبَاعْ ؟.!

كمال قداوين

الإرادة في ديوان « أغاني الحياة »

بقلم : أحمد الشتيوي

— 3 — (*)

2 — الفـرد الممتـاز :

يبدو أن الفرد فى الادب العربى عموما والشعر خصوصا لم يكن محل عناية ولكن المتمعن فى هذا الشعر يلاحظ أن هذا الرأى مردود لان الفرد هو العنصر الاساسى فى الشعر العربى بل ان الادب لم يكن ليهتم بعنصر الجماعـة ولـم يعطها القيمة التى تستحق • فاغراض الشعر هى أغراض تحوم حـول الفـرد فالرثاء والمرح والهجاء والفخر والغزل الخ كلها تعتنى بالفرد وتوسع له المجال دون سواه • ولكن الشىء الذى ينقص الشعر العربى هو التغنى بالفرد على انه الانموذج فمدحه مثلا لا يكون بدافع مادى •

لم يوجد نوع من هذا الادب الفردى فى الادب العربى القديم ولعل السبب فى انعدام هذا النوع من الافراد يعود الى طبيعة الاسلام الذى لم يخص فردا دون فرد فلا وجود لفرد وضيع ولا وجود لآخر رفيع• ثم ان الفرد الممتاز لم يكن متجذرا فى التربة العربية لان العرب منذ جاهليتهم لم يعترفوا بالفرد بل ميزوا الخارج عن الجماعة بالصعلوك اشارة الى رفضه ونبـذه والتعـرى مـن الدفاع عنه . لعل هذين السببين يفسران انعدام الفـرد الممتـاز من الساحة الاجتماعية ومن الساحة الادبية الا انه رغم ما قيل فيما تقدم فان الادب العربى وخصوصا الشعر لم يعدم وجود الفرد الممتاز . نعم لقد وجد هذا النـوع من الافراد فى المستويين المذكورين الاجتماعى والادبى •

أولا : لقد وجدفى الادب الشيعى ، فالتغنى بالامام والمهدى المنتظر يكشف لنا عن العقيدة فى الفرد الممتاز . وقد جسم هذا النـوع مـن الادب الشاعـر الافريقى ابن هانى (50) شاعر الفاطميين ومن ذلك ما قال مخاطبـا به المعـز لدين الله الفاطمى :

(*) راجع ما نشر بمجلة « الفكر » ع 5 و 6 ، س 25 ، فيفرى ، مارس 1980.

ما شئت لا ما شاءت الاقدار   فاحكم فأنت الواحد القهار (51)

الا ان هذا الفرد الممتاز يستمد ارادته المطلقة من معين دينى فهو اذن فرد لا يدخل فى نطاق الارادة البشرية التى تعنينا فى هذا البحث ٠

ثانيا : عرف الشعر العربى شاعرا قد جعل التغنى بالارادة والقوة محور شعره بل جعل نفسه محور الكون ٠ وقد عد هذ الشاعر من اشعر شعراء العرب ٠ ومن منا لا يعرف أبا الطيب المتنبى الذى ملأ الدنيا وشغل الناس(52) ان أبا الطيب قد ملأ دون ادراك منه فراغا كبيرا فى الادب العربى يتمثل فى هذا الجانب الانسانى القوى ٠ لقد تغنى المتنبى بالارادة وصاحبها الفرد الممتاز غناء مدويا :

واذا كانت النفوس كبارا   تعبت فى مرادها الاجسام

أما اذا انتقلنا الى الادب العربى المعاصر فاننا نلاحظ أن هذا الفرد الممتاز قد محور عدة آثار أدبية وشعرية ولا شك أن العناية به تعود الى تاثير المتنبى فى الادباء العرب المعاصرين وتأثرهم بالادب الغربى الذى جعل من الفرد الممتاز محور تفكيره خصوصا فى القرن التاسع عشر مع نيتشه (53) حتى تسرب هذا التفكير الى السياسة والاقتصاد (54) ٠ واذا نظرنا فى أدب الشابى موضوع بحثنا فاننا لا نحتاج الى جهد كبير لنعثر على هذه الفكرة بارزة مسيطرة على جميع انتاجه : يومياته ورسائله وخصوصا ديوانه ٠ فمن هو الفرد الممتاز فى نظر أبى القاسم ؟

---

(50) انظر أطروحة الدكتور محمد اليعلاوى : شاعر شيعى من المغرب فى القرن الرابع الهجرى / العاشر مسيحى ابن هانى الاندلسى ، نشريات الجامعة تونس 1976 (وهو بالفرنسية)

(51) الدكتور زاهد على : تبيين المعانى فى شرح ديوان ابن هانى ط. مصر 1952 ص 365

(52) لقد اجمع الادباء والنقاد ـ العرب وغيرهم ـ قديما وحديثا ـ على شاعرية المتنبى ٠

(53) فيلسوف المانى (1844 ـ 1900) أساس فلسفته هو تنمية الانسان الحيوية وارادته القوية التى ترفعه الى مرتبة « ما فوق الانسان » انظر مثلا كتابه : « وهكذا تحدث زرادشت »

ينطلق الشابي من تحديد خصائص الفرد الممتاز من ملاحظة حياة الافراد فوجد أن :

الناس شخصان : ذا يسعى بـه قـدم
مـن القنـوط وذا يسعى بـه الامـل

وهـذا الى المـوت ، والاجـداث سـاخـرة
وذا الى المجـد والدنيـا لـه خـول (55)

وبناء على هذه الملاحظة عمل أبو القاسم على تحديد خصائص الفرد الممتاز :

1 ـ العزيمة : وهي الدافع المحرك لتحقيق طموحات الفرد الممتاز وبدونها يستحيل هذا الفرد هباء منثورا :

وفي العزيمـة قـوات مسخـرة يخر دون مداها الشامخ الجبل (56)

ولا يمكن ان تتحقق هذه العزيمة الا بامرين :

ـ أن يسعى الفرد الى ادراك منزلته من الكون ومن الحياة ومن المجتمع وأن يدرك ضرورة تغيير واقعه ووجوب السيطرة على الكون

ـ أن يعمل الفرد على تجسيم ذلك الوعي في واقع جديد يقترحه ، بعد أن يختاره على نفسه ثم على الناس .

ولا يمكن أن يتصف الفرد الممتاز بالارادة الا اذا :

أ) آمن بأنه حر طليق من كل القيود التي تمنعه من التفكير ثم من التطبيق:

خلقت طليقـا كطيف النسيـم وحرا كنور الضحى في سماه (57)

ويستمد هذا الفرد حريته من الله تعالى دون سواه :

---

(54) ان فلسفة نيتشه قد أثرت في الالمان وأدت الى ظهور النازية وغيرهـا وقد تأثرت الدول الغربية بنفس الفلسفة فادعت أنها أحق من غيرهـا بالحضارة والعلم .

(55) الديوان ص 41

(56) الديوان ص 41

(57) الديوان ص 130

كذا صاغك الله يا ابن هذا الوجود وألقتك في الكون هذى الحياه (58)

ويتحتم حينئذ على الفرد أن يرفض جميع القيود .

ب) آمن بضرورة مسايرة الزمن وعدم التوقف اثناء السير لان ذلك يتنافى ـ قطعا ـ مع طبيعة الحياة :

سر مع الدهر لا تصدنك الاهوال أو تفـزعنـك الاحـداث
سر مع الدهر كيفما شاءت الدنيا ولا يخدعنـك النفـاث (59)

واذا تحتم السير فانه يتحتم ـ ضرورة ـ عدم الخوف من متاهات الحياة وشعابها ومتاعبها لان الفرد الممتاز فرد مريد طريقه ذو اتجاه واحد :

فالـذى يـرهب الحيـاة شقى سخرت مـن مصيره الاجـداث (60)

2 ـ الشـوق :

والشوق لفظة تكررت كثيرا في ديوان الشابي ، فهي لفظة محورية لانهـا جوهر الحياة وعنصرها الاساسي . ويستعملها الشاعر مقابـلا بينهـا وبين العدم ، فالشوق هو الكيان :

ومـن لـم يعانقـه شـوق الحيـاة تبخـر فى جوهـا واندثـر
فويـل لمـن لـم تشقـه الحـياة من صفعـة العـدم المنتصـر (61)

وهذا الشوق هو الذى يرفع الفرد الممتاز الى المحاولة والاصرار شأن المؤمن بجدوى الحياة ، انه يؤمن بان العمل الذى يقوم به هو العمل المجسم لانسانية الانسان لان الانسان هو الكائن المهيأ بطبعه الى عالم الكمال :

---

(58) نفس المرجع

(59) الديوان 87

(60) الديوان 87

(61) الديوان 240

ومن لا يحب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر (62)

وهذا الشوق هو صراط الانسان وهو يتناقض مع التردد أو الشك ٠

وهذه الطبيعة الارادية تحتم على الفرد ان يتصف بالصفات التالية :

أ ـ الاتصاف ببعض صفات الالوهية : وقد عبر الشابي عن هذا الرأى فى رسالة بعث بها الى صديقه محمد الحليوى (63) يبين فيها « أن الالوهية وما تصرف منها هو رمز للمثل العليا التى نصبو اليها بأرواحنا ونشخص اليها بأبصارنا فى هاته الحياة » «وهى ما تتصوره الانسانية من جمال المثل الاعلى وجلاله» (64) وينفى أبو القاسم الشابى أن يكون الارتداء برداء الالوهية كفرا وهذا ما يفهمه الناس «ولكن الى الجحيم بهم» (65) وليس على الفرد المريد فى هذه الحالة الا ان يسعى الى تحقيق ارادته ٠

ب ـ الاتصاف ببعض صفات النبوة : وهذه الصفات لها علاقة بصفات الالوهية ، وهى تدل على أن الفرد الممتاز يحمل فى جوانبه طموحات ليست ارضية ولا عادية ولذا تراه صامدا مصرا معاندا ٠ وقد عبر الشابى عن هذه الصفات فى قصيده « نشيد الجبار او هكذا غنى برومثيوس » تلك الجديرة بان تعتبر نموذجا لتصوير فلسفة القوة التى يؤمن بها الشاعر ٠ واهم صفات النبوة التى يركز عليها الشاعر هى الصبر وعدم الانثناء أو التراجع بل وحتى التوقف ٠

من جاش بالوحى المقدس قلبه لم يحتفل بحجارة الفلتاء (66)

وهذا الصبر أساسه الايمان بضرورة تبليغ «رسالة الدنيا» التى خلق لها هذا الفرد الممتاز ٠ فما هى اذن هذه الرسالة وما محتواها ؟

ـ يتبع ـ

أحمد الشتيوى

---

(62) الديوان 241

(63) هو الذى ساعد الشابى على مطالعة الادب الغربى المترجم كان من خلصائه توفى فى سبتمبر 1978 .

(64) (65) رسائل الشابى اعداد محمد الحليوى دار المغرب العربى 1966 ، الرسالة 29 المؤرخة فى 19 ديسمبر 1933

(66) الديوان 258

الناس في الصباح

شعر : عبد الرحمان الحبلوطي

طلع النهار كما يطل نهار عيد
وتفتحت عيناه فى الأفق البعيد
وتقشعت ظلمات كابوس عنيد
وأتى الضياء يعانق الصبح الجديد
وأتى السناء يبثنا الأمل السعيد
حمل الصبا ليراقص الزهر المديد
ولياهم الأطيار ترتيل النشيد
طلع النهار كما يطل نهار عيد .

* * *

خبت النجوم واطفئت أنوارها
وتسدلت فى لحظة أستارها
دب النشاط وعمت الكون الحياة
فاذا الشوارع كالخلايا عامرات
وإذا الأنام يزيح أستار الظلام
ويصرف المجهود فى سوق الزحام
هذى عصافير الأهالى طائره
لدروسها فى الصبح تمضى سافره
وكذلك العمال تسرع فى المسير

لمصانع الانتاج بالعزم الكبير ...
ويؤم كل إدارة أبطالها
يجرون حتى ينجزوا أعمالها ،
والتاجر المقدام يفتح متجره
والصانع الفنان يقصد مخبره ...
ويمر فى الميعاد بياع اللبن
يحنو على الأطفال بالخلق الحسن ،
وتظل تعلو الشمس فى الكون الجميل
نشوى كطاووس الى جهة يميل
ويؤوب للأرض الحبيبة كادحون
ويرددون : « الأرض كنز لا يهون »
في السوق جاؤوا الفجر، هم باعوا الغلال
قد أفرغوا الأكياس فيها والسلال
جاؤوا ، وكل الناس كانوا نائمين
يتذوقون العيش من كد اليمين
جاؤوا وهاهم عائدون مرنمين :
« الريف أحسن منزل فى العالمين » !

★ ★ ★

وتظل تغزو الشمس أرجاء الأفق
فاذا وجوه كالنحاس المحترق
تسعى بخطو الجد فى سوق الجهاد
تبنى الكيان ، تحقق الأمل المراد ،
لا شىء أحسن من لهاث الكادحين
فحياتهم قامت على عرق الجبين
ليحقق الانسان فرض وجوده
ويواصل الانسان جهد جدوده .

عبد الرحمان الكبلوطى

الأرخبيل

ـ 4 ـ (*)

رواية : يوسف رزوقه

مع انقشاع الصيف ، حملت حقيبتي وتأهبت للسفر ، وكان لا بد أن أنتظر ، عسى تمر إحدى الشاحنات الصغيرة ، المخصصة عادة لنقل البضائع أو الدواجن ...

وتجنبا للانتظار ، رأى أخواى الشاذلي والمولدى تشييعى الى محطة « سيدى علوان » .

امتطى ثلاثتنا الكاليس وانطلق بنا الحصان ، يركض ركضا محموما ، متزنا ، فيكاد من الركض يجن والناقوس فى رقبته يرن : شرن ، شرن !!. ونحن صامتون . يقوم بيننا حائط لكأنه الغربة . وتتفجر فى اغوارنا زوابع وزوابع من الأخوة اللينة الأصابع .

يحدث أحيانا أن تبكى وجوهنا فى لحظات الفراق ، كما يحدث أن نتصافح بالأيدى ، فتنهمر الدموع ونحن نحاول حبسها ، او نخرس لتستقر فى حلوقنا سباخ الملح وغصة بحجم المسافات الطويلة .

قريتى تبتعد عن جسدى ويدى ، وهذه سبع كيلو مترات تضمحل ، وتسكبنى فى محطة « سيدى علوان » وجها كالحا .

استحضرت نزقى وشخصيتى المرحة وسلمت على أخوى . أسديت لهما وكما اتفق ـ نصائح عامة ، ووقفت أشيعهما بنظراتى الساهمة حتى ذابا فى آخر الأفق .

★ ★ ★

أتوجه الى (تونس العاصمة) وعلى وجهى غبار الأرض المحروقة وكبت البدوى .

(*) راجع « الفكر » : ع 6 ــ س 25 ــ مارس 1980 .

وجسدي زيتونة يصهد أغصانها الشهيلي ويتمكن بجذاذاتها جـوع الى السماد قديم وحرمان هائل ، فعروقها بارزة ، جافة ، تكاد تنطق من شـدة العطـش .

كنت فيما مضى مولعا الى درجة الافراط ، بالشعر . وكنت ككل المكبوتين في تلك القرية أكتب شعرا ركيكا ، أعترف بعد هذه السنين الـتى مضـت ، أنى كتبت شعرا غزليا سمجا الى أبعد الحدود ، وأنه بات كريها وبت كارها له . لكن ، هذا الشعور ، ما كان ليمنعنى من أن أحب الشعراء حبا ظل يتنامى مع الزمـن .

ربما لأن الشعراء يقولون ما لا يفعلون وأنهم فى كل واد يهيمـون . أو ربما لأنهم تعساء ، يعيشون الحيرة والقلق والحزن مثلى ، أو ربما لأنى أحمل داخلى مشروع شاعر كسول يحلم بالاشياء المستحيلة ، ويكون مريدا – فى كل يوم – لقصيدة شامخة ، لكن ، مع تأجيل التنفيذ .

أنا بليد التفكير كالحمار . فعلا ، إنى بليد التفكير كالحمار . والكل يعجب كيف أفلحت ونجحت .

* قال النعناعى ذلك البدوى النيء : أراهن على رجولتى ، اذا نجحت أنت ، أنا احلق شاربى هذا ، وأنتف اللحية .

– قلت بكل برودة دم : بل لا تزوجنى بنتك اذا أنا خبت . وتأكدت بعد أن نجحت أن الكسالى يفلحون ، والنجباء يفشلون .

انها لعبة الحظ ، أو قل إنه التكتيك والذكاء فى احرج اللحظات .

أذكر أنى لما نجحت فى الباكالوريا ، أحدثت ضجة فى القرية . وفى واقـع الأمر ، ما من أحد كان يظن أن عبد الحميد ، ذلك الصعلوك المشاكس يمكن أن ينجح . بمشيئة من ؟ الله أعلم ، لا أنا أدرى بالضبط ولاهم يدرون . المهم ، أنى نجحت بملاحظة : متوسط ، وخيبت الظن ، فما ذنبى إذن ؟.

– قالت أمى : نذبح كبشا تكريما لعبد الحميد ..

– فقال أبى : لا ، بل نذبح ذلك الديك المعلول .

– فقال أخى الصغير : لا ، بل نذبح الكبش يا أبى . من زمن ، لـم تدخل أنفى ريحة الزهومة . إنى قرمت والله العظيم ، إنى قرمت .

وانتهى أبى بالموافقة على القرار مرغما أو هكذا خيل الى .

فى تلك الايام ، عجت دارنا بالوفود المهنئـة .

وضاق المخزن بالمشروبات الغازية وصناديق السكر ، وقراطس الشـاى . وأحسست أنى عضو صالح فى المجتمع . وأن لى جذورا رفيعة تربطنى بقريتى وتقول بأنى حى فى إطار حى . وأنى بالتأكيد ، أستحق الذكر . وهذا ، بطبيعة الحال ، يثير فى مجاهل نفسى النخوة والشموخ ومشاعر كثيرة .

لكن الأهم من كل هذا ، أنى تمكنت من لقاء (رية) فى بيتنـا المغلق عـلى رائحة ذكية ، تشبه رائحة السكوم المهمل فى البرارى .

أحسست يومها أنى إنسان جديد ، تهزنى أحاسيس جديدة وأن الاشياء ، كل الأشياء تتجدد من خلالى .

★ ★ ★

أنستنى لذة الرحيل الى الماضى ملل السفر الطويل . أخذت حقيبتى واتجهت فورا الى البيت الذى كنت أكتريته فى مستهل الصيف .

فى هذه المدينة ، نمت لى مخالب . وكنت مثـل كـل الغرباء ، أحمـل فى العينين : أفقا رحبا ، وفى اليدين : صحراء خصبة بالجفاف .

غرفتى عورة لا يعرف أسرارها أحد . واطئة ، قذرة ، تقع فى حى مظلـم من الاحياء العتيقة . كل البناءات تقريبا مجللة بالسواد ، تصدعت سطوحهـا وتخلل شقوقها الكلأ المتروك .

سألتنى صديقة دعوتها ذات حرمان الى بيتى :

ـ كيف تطيق الاقامة فى مثل هذا المكان ؟

كانت مغفلة لا تدرى أنى طالب جامعى فقير . وأنى على قـدر فقرى ، أمد رجلى . أحيانا ، تمسخ الحقائق حين ننظر الى الزيتونة على أساس أنها نخلة .

التمست مرة من والدى أن يمنحنى عشرين دينارا ، فكان أن لاذ بالسطح كالقط وهو يقول :

ـ أنت خرجت من ذمتى . تكفيك المنحة التى تحصل عليها كـل شهر . لى صغار مازالوا فى كفالتى ..

هكذا يعتذر . ويتركني مفلسا ويدي مغلولة الى عنقي ، قابضة على السراب.

★ ★ ★

استلقيت على الفراش وكنت وأنا أفكر كجرادة تغرز ذنبها في التراب ، كي تبيض .

تذكرت اني منذ زمن طويل لم اذق طعم امرأة ، اللهم ، القاسمية ، تلك الزنجية اللائذة بالمنفى .

في جيبي دنانير معدودة . لكن ، لا يهم . أنا محتاج ، بل في منتهى الحاجة الى امرأة تقاسمني فراشي هذه الليلة .

ظللت بين لا ونعم . وفي ختام التفكير . قررت أن أقصد نهج « سيدي عبد الله قش » ذلك الماخور القذر ، وأطفيء غلي .

فأنا لا استطيع أن أنتظر مجيء الليل ، لأنعم بالدفء رفقة مومس لا تعرف أصول الكيف الجنسي ، ولا تبادلني نفس التوحش والشهوة العنيفة .

إني أرفض أحيانا ، أن أفعل الفحشاء مع مومس . لا لشيء ، سوى لأنها تبدو لي ، باردة العاطفة ، كريهة الرائحة ، منطفئة ، تماما كالجثة .

أنا أبحث عن الضرورة في امرأة تمتاز بالعفة والتوهج والذوق الفني الرفيع ، لا في مهبل أتان موبوء تغزوه الحيوانات المنوية بين اللحظة واللحظة كالسرطان .

بصراحة ، بت اعاف مثل هذه الأمور التافهة . وبت أتقزز ممن يتلفظ بالكلام البذيء ويتهافت على اللذة والمستنقعات الموحلة . وبت أعجب كيف يضمحل حجم الانسان ، فلا يرى الأفق إلا من خلال فخذي آمرأة . ان وجهي يصفر خجلا ، يحمر سخطا عندما أصغي الى رجل طويل وفخم كنزل إفريقيا أو الهلتون يتفوه بكلام ، يقشعر من كراهته الجماد أو يضرب وتده في العفن كالخنزير .

بكل تأكيد ، أنا تغيرت . وبت أناهض الوجه المتمومس في الانسان . وها أني أبدأ برأسي لأحرره من الوحل .

وأنا أتسكع في نهج (ابن خلدون) ، أعترضني صديقي مصطفى المدائني . كان لوجهه لون الزعفران ولعينيه اتساع الأشياء المندهشة .

وصديقي هذا ، يكتب القصة القصيرة ، ويكتب الرواية أيضا . وآخر مرة ، أطلعني على روايته الجديدة : « الرحيل الى الزمن الدامي » .

وأذكر أني نقدتها وعبت عليه تأثره بمحمود المسعدي في « السد » والطيب صالح في « موسم الهجرة الى الشمال » .

كنت كالحلزونة أتحرك في دائرتي الضيقة . وعندما عرفت مصطفى ، عرفت أصدقاء جددا ، بينهم الشاعر والناقد والقصاص ...

وكان فرحي شديدا بهذه الصداقات المختلفة . لكن ، ما أدهشني فعلا ، أن يكون سويلمي موجودا في هذه المدينة شاعرا عنيفا وبشرا لطيفا .

وأنا غارق في التفكير ، سألني مصطفى : ما هي أخبار سويلمي ؟

قلت : لا أدري . ترك القرية منذ أيام بعيدة . وأظن ، مجرد ظن ، أنه يوجد خارج الحدود ، وربما يعود قريبا . هاجس خفي يقول لي ، بأن سويلمي سيعود .

في المساء ، وككل المساءات القديمة من يوم الجمعة ، اجتمعنا في « نادي الشعر » بدار الثقافة : ابن خلدون .

حدثتنا الشاعرة والناقدة الفلسطينية الزائرة : سلمى خضراء الجيوسي عن قضايا الشعر العربي المعاصر .

وقرأ بعض الشعراء الشبان نماذج من شعرهم . وبعد النقاش انسحبنا لنلتقي من جديد في احدى مقاهي المدينة .

تحدثنا عن الالتزام في الأدب ، عن الغموض في الشعر الشبابي ، عن الثقافة السائدة والثقافة البديل ، عن الشاعر الفلاني كيف يزوغ وينفعل ويفتعل التشنج في القاء قصائده ، فنشفق عليه أو ندعو له بالشفاء العاجل من نوباته العصبية ... وفي صلب الحديث ، تردد ذكر سويلمي أكثر من مرة . يبدو أنه شاعر أنموذج يحبه زملاؤه حبا جما ...

* قال آدم فتحي ، (ناقد أدبي وعاشق المسافات الوعرة) : سويلمي إشكالية وكفى .

* وقال المنصف وناس (ناقد أدبي أيضا) : إن سويلمي لشجاع ، يتوغل في النار ولا يحترق .

* وقال يوسف سلامة ، (قصاص يبدو أنه يكابد قلقا دائما) : إن سويلمي شفاف الى حد الغموض أحيانا .

* وقال عبد الحميد خريف ، (الشاعر المبتلي بالسفر) : لا تسألوني عن سويلمي ، إنه أعز الأحباب عندي ، ولكن ، على الرغم من وشائج الأخوة والحب التي بيننا ، ظل غامضا كأشد ما يكون الغموض .

* وقال الصادق شرف (الشاعر بطفولة في حديثه ، بطفولة في أشعاره ، وهو يتوجه الى هذه المرة وقد لاحظ اهتماما من طرفي بالموضوع) : إذا كنت تبحث في سويلمي ، إقرأ هذه الأشعار التي كان يمدني بها بين الحين والحين .

مشى معي خطوتين . سلمني ملفا ضخما ، وانصرف ، يتخلل المازة الصدى البغيد وعدت أنا الى البيت ، مثقلا بالصمت كحمار أسفارا .

أخذت أقلب الملف وأنا ممدود على الفراش . عملية ممتعة للغاية أن أتواصل مع سويلمي من خلال الكلمات .

ـ كم أنت مغفل يا سويلمي ! تختفي وتترك بصماتك على الورق . أنت الآن ضفدعة قيد التشريح .

أول قصيدة طالعتني تحمل عنوان (الكفن) :

كان الصهيل يدق جمجمتي
صرخـــت ،
فكان أن وقعت مهاجمتي ...
إذن !
سأكون من هذا الوطن :
وجهـا غنيـا بالغضب ...

(ملاحظـــة : الوطن ، أن نتعرى كما يجب ، وأن نموت مـن أجـل الحب كما يجب ، وأن نشابك بين أيدينا ، دون اللجوء الى الكذب ...)

وبخط فارسي أنيق (يبدو أن سويلمي خطاط ممتاز ايضا) قرأت ما يلي :

* (اللواء الجديد) :

تقف المسافات المضيئة في دمي .
وأكون هذا العام ممتلئا الى حد الشطط ،
بهواء قط لم يعش مثل القطط .

(**ملاحظـــة :** أنا شرس فى بعض الأحيان . أخـرج مـن انسانيتى لأزرع الانسانيـة فى الانسان .)

* (التعـــرى) :

أنا لسـت مجنونـا ولكننى

إذا كنت مظلوما فانى أجن

أرى فى مسافاتى شباب امرأه

ويحمر فى رأسى الهوى والوطن .

(**ملاحظـــة :** يخيل الى أنى مضطهد . وأن البسمات ، كـل البسمات التى يكيلها لى الأحباب المزيفون تتآمر على شنقى . لهذا السبب ، أنـا سأفكـر فى السفـر) .

* (الطريـق) :

أمهلينى لحظـــات

هذه الأفكار ليسـت مخلصـه ...

أمهلينى لحظـــات

فالأحاديث خرافـات موات ...

أمهليـنى لحظـــات

وصديقى موحـل ، ما أعوصـــه !

أمهليـنى لحظـــات ...

أمهليـنى لحظـــات ...

(**هامـش هـام :** يهمنى أن أهمل هذا الرأس ... رأسى مثقل بالكراهية ، إنى أكره هذه الطبقات التافهـة من البشر) .

* (مكابـــدة) :

شامـخ باللظى والشـذى .

شامـخ باحتمال الأذى ،

من لـــدن

ذلـك البشر المضمحـل .

شامخ بالأمـــل .

(رفيعة الى حمالة اللهب : أنا مستطيع بسلبياتي ، أتوقع نقصا في شخصيتي فأعمل على كشفه حتى ينكشف ، فأبادر بالتقويض والتعويض ..)

بعد أن أجهزت على كامل الملف ، نمت نوما عميقـا وفي الصبـاح ، حملت محفظتي وخرجـت . التقيت صديقا يعمل في حظيرة بناء . وضعته في عينـي حتى تعرى ، فرأيت فيه جمجمة تتعالى على عظامها : عمارة وحضارة .

صافحته بحرارة . ناولته سيقارو. وقال لي كلاما ، وقلت له كلاما وابتسمنا كما اتفق . كان طيبا حتى السذاجة ، وبسيطا حتى الشموخ . ضربت له موعدا وافترقنـــا .

كانت الأرصفة زرقاء ، كزند فتاة طرية انحصر فيها السم . وكانت الوجوه مبثوثة هنا وهناك تتقاطع وتتخطف وتذوب .

ضحكت ضحكا لا معنى له. اشتريت جريدة وتخذت مكانا في مقهى. وضعت ساقا على ساق وبدأت أقرأ أخبار السياسة والأدب والفن .

فاجأني صديق كنت أحببته ذات يوم . قلت له : صباح الخير . ترجم تحيتي الصباحية الى الفرنسية وردها علي . كان جاهلا أو هكذا خيل إلي .

غادرنا المقهى معا وكأننا لسنا معا.

في طريقنا الى الكلية ، حدثني عن كل شيء ، ولم أفهم أي شيء . كان مزعاما ويجد لذة بالغة في أن يكذب عـلي .

قال : في الصيف الفائت ، ذهبت الى هولندا وتعرفـت الى شقـراء حلـوة شيعتني حتى المطار وكلها دموع .

كان يكذب ولا شك . فهو فقير حتى أخر ذبذبة في الآه وهو لـن يذهب الى هولندا أو غيرها ، اللهم إذا ...

توقف قليلا . توقفت بدوري . أخرج من جيبه صـورة لـه مـع إحـــدى السائحــات .

* اخزر ، إنها صورتي مع صديقتي الهولندية : (تينا) في احواز هولندا .

ـ ولكني ، أرى في الصورة : نزل « حنبعل » ، وجملا خلفكها يمتطيه سائح وسائحـــة .

* أنت لا تصدق ، كعهدى بك دائما .

- إن كنت تحملنى على التصديق ، فاننى صدقت يا صديقى !

ماذا يخبىء لى يومى هـذا ؟

إنى متفائل الى درجة التشاؤم ونزق الى أبعد حد . سأثرثـر اليوم مع من يضمر لى الكراهية أو الحب وسأفتح قوسين أو أغلق قوسين .

عند مدخل الكلية ، تجاوزنى زميلى ليتركنى مع زميل آخر مولع بالتواجد مع ظليلات الأجفان .

ضحكت معه عليه ، فلم يعبأ . كان حمارا بطىء الفهم . هنأنى بنجـاحى فى دورة سبتمبر وفارقنى الى حيث لا أدرى . دخلت أتمطى كالقـط وفى مشرب الكلية ، هتف بى زميل . شربنا على نخب اللقاء قهوة ودخنـا السواقر حـتى دخنـــا .

سألنى عن سويلمى . قلت : لا أدرى .

قال : ذلك مخلوق غريب ، وغامض يثير فينا الصمت والأسئلة . عرفته فى الكلية ، كنت وقتها فى سنتى الأولى وكان هو فى عامه الأخير .

وللمزيد من التفاصيل ، سأحيلك ، ان كنت ترغب فى ذلك ، على زميلة ، كان سويلمى يسكن اليها وكانت هى على ما يبدو تبادله نفس الشعور .

انها فتاة سمراء منحدرة من الجنوب . وكان ينوى أن ينكحها ويستقر .

وأذكر أنه كان دائما يردد : نحن مقتنعان بهذا الارتباط . سنبنى أنفسنا ، لكى لا يتهدم على رأسينا البيت فى مستقبل الزمن .

★ ★ ★

احتلنى صمت مفاجىء . ووجدتنى غارقا فى تفكير ذى أنياب حادة .

- يتبـع -

يوسف رزوقه

القلنسوة ...
تاريخها وتقاليد لباسها عند العرب

بقلم : أبو بكر عبد الكافي

تعريفها :

القلنسوة هى غطاء للراس خاص بالرجال ، دخل فى تقاليد اللباس عند العرب منذ فجر الاسلام .

تجمع القلنسوة على : قلانس وقلانى . وتصغر على : قلنسية وقليسية ويقال : تقلنس الرجل وتقلسى اى لبس القلنسوة .

وفى النسب اليها نقول : القلانسى ولا نقول : القلانسي (1) وورد (القلانسى) وهو لقب الشاعر المهدوى التونسى : (محمد بن حبيب القلانسى) (2) ولا يبعد ان يكون من عائلة اشتهرت بصناعة القلانس او التجارة فيها .

ومن المحتمل ان يكون اللقب العائلى (القلسى) بكسر القاف محرف عن (القلاسى) او عن (القليسى) وهو لقب عائلى عريق بصفاقس وورد فى اخبار القرن الرابع الهجرى (3) وما زال آل القلسى الى اليوم .

شكل القلنسوة :

قال المستشرق الهولندى (دوزى) عن (لين) : هذه الحاجة موصوفة بصورة

---

1) التلخيص فى معرفة اسماء الاشياء لابى هلال العسكرى ت عزة حسن دمشق ج 1 ص 204 .

2) خريدة القصر وجريدة العصر للاصبهانى (شعر المغرب) ت المرزوقى والمطوى ومن معهما ط. تونس 66 ص 164 ج 1 .

3) مناقب الجبنيانى خط .

غامضة من قبل المعجميين العرب ، بحيث انني لا استطيع الحصول على فكرة دقيقة محددة عن شكلها (4) .

وايد (دوزي) لين في قوله وقال : « ان هــذه الكلمــة ــ يعني القلنسوة ــ تشير الى الطاقية التي توضع تحت العمامة وهي مرادفة لكلمة طربوش » (5) غير اننا نخالف ما ذهب اليه المستشرقان المذكوران لاننا توصلنا الى التعـرف على شكل القلنسوة من خلال ما قال عنها اللغويون والمؤرخون واتضح لنا : انها ذات شكل مخروط قاعدته مستديرة حسب الراس طويلة تنتهي بذؤابة تدعى (التتـــو) .

وقد استنتجنا هذه الصورة مما يلي :

1) تحدث ابو هلال العسكري عن القلنسوة من حيث الاشتقاق واوردنا ذلك في اول البحث ثم عرف (البرنس) فقال : « والبرنس القلنسوة الواسعة التي تغطي بها العمامة ويستتربها من الشمس والمطر » (6) .

وعرف ابن سيدة البرنس بقوله : « البرنس كل ثوب راسه ملتزق به » (7) ونفهم من هذا ان راس البرنس الملتزق به هو مثل القلنسوة الا انه اوسع منها ، لكن ما هو وجه الشبه بينهما ؟؟ اليس هو الشكل ؟؟ والبرنس ما زلنا نصنعــه ونلبســه ونعطي رؤوسنـا بقلنسـوته الواسعة التي نسميهـا بتـونس : (الطربوشة) (8) وهي ذات شكل مخروط وتنتهي بذؤابة من الحرير نسميها (التنفورة) وقال أبو هلال : « ويقال لذؤابة القلنسوة التتو » (9) من هـذا نعلم : ان القلنسوة التي كانت غطاء للراس مثل قلنسوة البرنس الا ان هذه الاخيرة اوسع .

2) وتاكدنا بانها كانت طويلة مما ياتي :

---

4) راجـع اللسان العربي (مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي) م 10 ج 3 ص 181 وما بعدها .
5) المصــدر السابــق .
6) التلخيص للعسكري ص 214 ج 1 .
7) المخصص لابــن سيــدة .
8) تعبير شعبي تونسي ربما اخذت من الفرنسية
9) التلخيص للعسكري ج 1 ص 205 .

روى القاضي عياض : عن ابن بسطام : انه كانت للامـام سحنون قلنسوة طويلة (I٥) وروى ابن عبد ربه : ان الخليفة المامون لما دخل عليه العلمـاء كان جالسا على فراشه وعليه سواده وطيلسانه والطويلة وعمامته (II) وروى ابـن عذاري : ان الحاجب عبد الرحمن بن أبي عامر أوعز الى ذوى الهيئـات بطـرح قلانسهم الطوال المرقشة الملونة (I2) .

فمن هذه النصوص التاريخية نتاكد بان القلنسوة كانت طويلـة وطولهـا يزيدنا تاكدا بانها كانت (مخروطة) وبذلك تكـون غيـر (الطاقيـة) وغيـر (الشاشية) اذ تخالفهما صنعا وشكلا مع ان اقدم نص تاريخي ذكر القلنسوة يرجع لفجر الاسلام بينما الشاشية ورد ذكرها في القرن الثالـث الهجـري ، والطاقية في القرن السابع الهجري (I3) ولعلها اقدم من ذلـك ، بحيـث ان ما ذكره دوزي من غموض وما اورده من تاويلات في فهم القلنسوة صار غير ذي موضوع ، كما ان كيفية لبسها وهل تلبس بالعمامة او بدونها لم يعد موضوع بحث او افتراض اذ وصلتنا نصوص تاريخية تنفي كل الريب وتجعلنا نتصور كيف تعود العرب لبسها .

لبـــاس القلنســـوة :

ان اول من لبس القلنسوة في الاسلام هو النبيء عليه الصـلاة والسلام ثم اقتدى به المسلمون والعرب عامة وعلى الاخص الامراء والعلماء .

روى النويري : « ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يلبس القلانـس تحـت العمامة ويلبسها دونها ، ويلبس العمامة دونها ، ويلبس القلانس ذات الآذان في الحرب وربما نزع القلنسوة وجعلها سترة بين يديه وصلى اليها وربما مشى بلا قلنسوة ولا عمامة ولا رداء راجلا ويعود المرضى كذلك في اقصى المدينة » (I4)

I٥) تراجم اغلبية من مدارك القاضي عياض ت الطالبي ط تونس ص 95 .

II) العقد الفريد لابن عبد ربه ط (الطبعة الثانية) مصر I928 ج 3 ص 279 .

I2) البيان المغرب لابن عذارى المراكشي ت (ج س كولان ومن معه) بيروت ج ج 3 ص 48 .

I3) المغرب في حلى المغرب لابن سعيد ت د شوقي ضيف دار المعارف ج I ص 2I6 .

I4) نهاية الارب للنويـري ج I8 ص 288 ــ 289 .

هذه الرواية تفيدنا القطع فى كيفية لبس القلنسوة ، كما تفيدنا بان القلنسوة دخلت فى تقاليد اللباس عند العرب منذ فجر الاسلام ، وتواصل هذا التقليد مع العصور الى النصف الاول من القرن الخامس الهجرى تقريبا ثم اخذ يتضاءل واخذت انواع اخرى تعوض القلنسوة فى لباس الراس بينما العمامة تحتفظ بمركزها . بقى لنا ان نتعرف عمن كان يلبس القلنسوة ، فهل كانت لباس طبقة خاصة معينة ؟ ام كانت لباس كل الطبقات ؟؟

نلتقى خلال ما نطالعه بدواوين التاريخ المختلفة بشخصيات بارزة على المستوى الادارى والعلمى كانت تلبس القلانس مع العمامةوبدونها وقل غيرهم .

ففى المشرق كان الحجاج بن يوسف يلبس القلنسوة وعمامة خز خضراء (15). وروى ان الخليفة المامون العباسى استدعى يوما قاضى القضاة يحيى بن اكثم واربعين رجلا كلهم فقيه يفقه ما يقال له ويحسن الجواب ... فلما دخلوا عليه وجدوه على فراشه جالسا وعليه سواده وطيلسانه والطويلة وعمامته ، وبعد جلوسهم تحدر الخليفة عن فراشه ونزع عمامته وطيلسانه ووضع قلسونتنه ثم امرهم بنزع قلانسهم وخفافهم وطيالستهم ففعلوا بعد تردد (16) .

كذلك كان الحجاج بن يوسف والخليفة المامون يتعممان فوق القلنسوة بينما العلماء المصاحبون للقاضى يلبسون القلانس فقط حسبما نفهم من النص ومن امر المامون : « انزعوا قلانسكم ؟ » فلو كانوا معممين لقال لهم : (انزعوا عمائمكم ؟) مع ان الراوى قال : ان المامون : نزع عمامته وطيلسانه ووضع قلنسوته ؟؟

وهذه التقاليد نفسها كانت متبعة فى المغرب العربى وعلى الاخص بين علماء مدينة القيروان عاصمة افريقية الاغلبية ولم يذكر احد الرواة الذين تحدثوا عن اولئك العلماء انهم لبسوا القلانس والعمائم معا : وللاستدلال نذكر بعض ما اطلعنا عليه فى هذا المجال :

روى المالكى والدباغ ان العالم اسماعيل بن عبيد الانصارى احد التابعين العشرة الذين اوفدهم الخليفة عمر بن عبد العزيز لتفقيه اهل افريقية وتوفى

---

15) العقد الفريد الطبعة الثانية 28 — ج 3 ص 239 .
16) المصدر السابق ص 279 — 280 .

بالقيروان سنة 107 هـ انه كان يلبس جبة من صوف وكساء من صوف وقلنسوة صوف (17) ، وكان البهلول بن راشد عالم افريقية يلبس قلنسوة خز وساجا طرازيا (18) ، وكان القاضي سحنون بن سعيد التنوخي (160 ـ 240 هـ) له عدة قلانس وكان يلبس كل واحدة منها في مناسبة خاصة ، قال سليمان بن سالم : « رأيت لسحنون ساجا كحليا وساجا ازرق ورداء وقلنسوة حبرة ، وقلنسوة زرقاء وشيا وقلنسوة شبه الاغلبي فاذا قعد للسماع لبس الرداء والقلنسوة الاغلبي ، واذا شهد الجمعة لبس الساج وقلنسوة الحبرة ، واذا حضر جنازة لبس الساج الازرق والقلنسوة الزرقاء هذا كان اكثر فعله » (19) .

ان سليمان بن سالم القطان تلميذ سحنون وعرف بالثقة وتولى القضاء وكانت وفاته سنة 289 هـ قدم لنا قائمة تامة الوصف لثياب شيخه وعرفنا عن عادته في اللباس ولم يذكرانه كان يتعمم (20) ؟؟

ومما يزيدنا ايمانا بان علماء هذا العهد كانوا يتقلنسون ولا يتعممون ما رواه المالكي في اخبار القاضي عبد الله بن غانم تلميذ مالك بن انس وسفيان الثوري وغيرهما انه : ركب يوما مع الامير ابراهيم بن الاغلب وشقا سماط القيروان وفي ناحية حرك ابن الاغلب دابته وسبق القاضي الذي عطف دابته نحو داره تاركا الامير وحده .. وعندما وصل الامير الى دار الامارة ولم يجد القاضي واخبر انه فارقه في مكان كذا فدعاه وسأله عن السبب فقال له ابن غانم : (اصلح الله الامير انما القاضي بحرمته واني رايتك حركت دابتك فلو حركت دابتي لسقطت قلنسوتي وانكشف راسي وضحك علي الصبيان) (21) .

ان مفهوم العبارة لا يقتضي ان نفهم بان ابن غانم كان يتعمم فوق القلنسوة؟؟

---

17) معالم الايمان للدباغ ت شبوح ج 1 ص 195 ـ ورياض النفوس ت مؤنس ص 70 ج 1 .
18) تراجم اغلبية ص 30 والساج الطيلسان .
19) المصدر السابق ص 95 و 96 ـ وراجع ايضا رياض النفوس للمالكي ص 264 .
20) ترجم له عياض انظر تراجم اغلبية ص 260 .
21) رياض النفوس للمالكي ج 1 ص 151 ـ والدباغ في معالم الايمان ت شبوح ج 1 ـ ص 300 .

ومن خلال ما اوردناه من نصوص تاريخية ومما سنذكره نفهم بان القلنسوة كانت لباسا مدنيا حضريا اختص به العلماء وكبار رجال الدولة بينما بقية الطبقات الشعبية بما فيهم العباد والزهاد كانوا يتعممون او يغطون رؤوسهم بالمناديل او الشواشي ؟؟ (22) .

روى القاضي عياض : ان الامير ابراهيم بن الاغلب أشار عليه العلماء بتولية العالم الفقيه عيسى بن مسكين (214 ـ 295 هـ) قضاء افريقية فطلب رؤيته فلما دخل عليه وهو يلبس جبة من صوف وعمامة من صوف ، وبعد انصرافه قال للذين اشاروا عليه به : (اشرتم علي بشيخ في زي جمال ؟؟) (23) .

والجمال رجل شعبي كان ينقل البضائع والمتاع فوق جمل بمقابل اجر ...

والجمالة والحمارة كانت حرف في المجتمع القديم ، وقول الامير صريح في ان زي عيسى زي شعبي وليس بزي اهل العلم ؟

وارسل مرة ابن الاغلب الى ابي خالد عبد الحق المتعبد وكان رجلا طويلا آدم غليظا كثير الشعر يلبس عمامة كبيرة كانها شقة فلما دخل عليه قال له الامير : (بلغني انك من العرب وان لك عيالا وعرض عليه مالا فرفضه (24) الخ) فعبد الحق اشتهر بالزهد والعبادة وبدا في نظر الامير انه من العرب اي بدوي ؟؟

كان سحنون عالم افريقية وقاضيها اذا خرج للحرث في ضيعته ينزع قلنسوته ويغطي راسه بمنديل (25) ولا يبعد ان يكون ذلك زي الفلاح في ذلك العهد .

نعم قد كان بعض العلماء يتعممون مثل القاضي ابن ابي الجواد وعيسى بن مسكين لكنهم قلة واكثر رجال العلم يتقلنسون بدون لف العمامة وروى الدباغ ان القاضي عبد الله ابن غانم سأل يوما احد اصحابه اثر عودته من صلاة الجمعة فقال : (احضرت بالجامع ؟ قال نعم : قال كيف رايت ؟ قال : رايت اصلحك

---

22) خصصنا بحثا سننشره عن الشاشية .
23) تراجم اغلبية ص 236 .
24) رياض النفوس للمالكي ج 1 ص 235 .
25) معالم الايمان للدباغ ج 2 ص 234 ت ؟

الله سبعين قلنسوة تصلح للقضاء وثلاثمائة قلنسوة فقيه ؟؟ فترجع ابن غانم وقال : مات الناس ؟؟) (26) . فهذا العدد الضخم من رجال العلم الفقهاء اللابسين للقلانس الذى رآه ابن غانم قليلا ناهيك انه قال انا لله وانا اليه راجعون ، مات الناس ؟ لدليل على ان من عادات رجال العلم بالقيروان لبس القلانس وحدها ؟ وبها يعرفون ؟

وهذا التقليد الحضرى كان ايضا متبعا فى غرب الاندلس لان اهل شرقها اشتهروا بحسر الرؤوس كما نص ابن سعيد وغيره ، وفى الوقت نفسه نجد البرابرة فى غرب الاندلس يتميزون بالعمائم ؟

روى ابن عذارى : ان الحاجب عبد الرحمن بن أبى عامر عندما اولاه العهد الخليفة المروانى هشام بن الحكم سنة 399 هـ اوعز الى ذوى الهيئات من طبقات أهل الخدمة (بطرح قلانسهم الطوال المرقشة الملونة وكانت على قديم الدهر تيجانهم التى يباهون بها طبقات الرعية ويباهون بها أهل المملكة وامرهم بالانتقال عنها الى العمائم ووعدهم على التفريط فى ذلك بالعقوبة فاستعان كثير منهم بجيرانهم من البرابر واخوانهم حتى لبسوها على اكره حال واشد مشقة وغدوا الى قصر الزاهرة يوم الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى فكانوا بها اقبح منظر واهجن زى وملبس لمخالفة العادة واصبحوا فى الناس فضيحة) (27) .

ابو بكر عبد الكافى
(صفاقس)

---

26) معالم الايمان للدباغ ت شبوح ــ ج 1 ــ ص 310 .
27) البيان المغرب لابن عذارى ج 3 ص 48 بيروت .

الإشراقات*

شعر: رامبو
تعرب: محسن بنحميده

33 ـ حركة

حَرَكَةُ الأَحَابِيلِ عَلَى ضَفَّةِ شَلاَّلاَتِ النَّهْرِ
الهَاوِيَةُ عِنْدَ مُؤَخَّرِ السَّفِينَةِ
سُرْعَةُ المُنْحَدَرِ
عَظَمَةُ مُرُورِ التَّيَّارِ
تَحْمِلُ عَبْرَ الأَضْوَاءِ المُذْهِلَةِ
والجِدَّةِ الكِيمَاوِيَّةِ
تَحْمِلُ المُسَافِرِينَ فِي هَالَةِ أَعَاصِيرِ الوَادِي
وَالنَّهْرِ

إِنَّهُمْ غُزَاةُ العَالَمِ
يَبْحَثُونَ عَنِ الثَّرْوَةِ الكِيمَاوِيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ
تُرَافِقُهُمْ فِي سَفَرِهِمْ الرِّيَاضَةُ والرَّفَاهَةُ
يَحْمِلُونَ عَلَى تِلْكَ السَّفِينَةِ
تَرْبِيَةَ
الأَجْنَاسِ والطَّبَقَاتِ والحَيَوَانَاتِ

(*) تابع لما نشر في الفكر ـ العدد 4 ـ جانفي 1980 ـ س 25.

رَاحَةٌ ودُوَارٌ
عِنْدَ النُّورِ الطُّوفَانِيِّ
وَأَمْسِيَاتِ البَحْثِ المُرِيعَةِ
إذْ مِنَ الحَدِيثِ خِلالَ الأَجْهِزَةِ والدَّمِ
والزُّهُورِ وَالنَّارِ والحُلِيِّ
مِنَ الحِسَابَاتِ المُضْطَرِبَةِ
عَلَى ذَلِكَ السَّاحِلِ الهَارِبِ
نَرَى رَصِيدَ بُحُورِهِمُ الفَظِيعَ
المُضَاءِ بِلاَ انْتِهَاءٍ
مُتَدَحْرِجاً كَسُدٍ مَا بَعْدَ
الطَّرِيقِ المَائِيَّةِ المُحَرِّكَةِ للدَّوَالِيبِ
وَهُمْ مَطْرُودُونَ فِي نَشْوَةِ التَّنَاسُقِ النَّغَمِيِّ
وَبُطُولَةِ الاكْتِشَافِ
وَعَنْ أَشَدِّ العَوَارِضِ الجَوِّيَّةِ إذْهَالاً
يَنْزَوِي شَابَّانِ زَوْجَانِ عَلَى السَّفِينَةِ
– فَهَلْ هِيَ وَحْشِيَّةٌ قَدِيمَةٌ تُغْفَرُ –
ويُغَنِّيَانِ وَيَكْمُنَانِ ...

34 – ركيزة

كَانَ الوَاقِعُ شَائِكاً جِدّاً لِكَبِيرٍ طَبْعِي
إلاَّ أنِّي كُنْتُ عِنْدَ سَيِّدَتِي
فِي صُورَةِ طَائِرٍ رَمَادِيٍّ مَائِلٍ إلَى الزُّرْقَةِ
يَنْطَلِقُ نَحْوَ سَبَائِكِ السَّقْفِ
ويَجُرُّ جَنَاحَهُ عَبْرَ ظِلاَلِ الأُمْسِيَةِ

وَعِنْدَ سَاقِ العَرْشِ الحَامِلِ لِحُلِيِّهَا المَعْبُودَةِ
وَرَوَائِعِهَا الجَسَدِيَّةِ
كُنْتُ دُبًّا كَبِيرًا بَنَفْسَجِيَّ اللَّثَى
أَشْيَبَ الشَّعْرِ حُزْنًا
عَيْنَاهُ إِلَى بِلَّوْرِ الرَّكَائِزِ وَفِضَّتِهَا
وَصَارَ الكُلُّ ظِلاً وَمَرْبًى مَائِيًا مُسْتَعِرًا
وَعِنْدَ الصَّبَاحِ

فِي فَجْرِ جَوَانَ المُشَاكِسِ
غَدَوْتُ نَحْوَ الحُقُولِ حِمَارًا
أُطْلِقُ بُوقِي وَأَشْرَعُ شَكَاتِي
حَتَّى أَقْبَلَتْ شَهِيدَاتُ الضَّاحِيَةِ
تَرْتَمِي عِنْدَ صَدْرِي

35 ـ هباء

جَمِيعُ الفَظَائِعِ تَنْتَهِكُ إِشَارَاتِ أَرْتَانْسَ
المُرِيعَةَ

وَحْدَتُهَا آلِيَّةُ الجِنْسِ
وَفُتُورُهَا حَرَكِيَّةُ الحُبِّ
وَتَحْتَ مُرَاقَبَةِ طُفُولَةٍ
كَانَتْ فِي عُهُودٍ شَتَّى
صِحَّةَ الأَجْنَاسِ المُسْتَعِيرَةَ
بَابُهَا مَفْتُوحٌ لِلبُؤْسِ
هُنَالِكَ
أَخْلاقِيَّةُ الكَائِنَاتِ المُعَاصِرَةِ

تَفْقِدُ جَسَدَهَا فِي هُيَامِهَا أَوْ فِي عَمَلِهَا
يَا لِمُرِيعِ قُشَعْرِيرَةِ الوِصَالاَتِ المُبْتَدِئَةِ
عَلَى الثَّرَى الدَّامِي
وَعَبْرَ الهِيدرُوجِينِ الشَّفَّافِ
تَجِدُونَ أَرْتَانِسَ

36 – تقبى

إِلَى أُخْتِي
لِوِيز فَنَايِين دِي فُورنِنْهَام
Louise Vanaeon de Vorninghem
قُرْنَاؤُهَا الزَّرْقَاءُ صَوْبَ البَحْرِ الشَّمَالِ
لِلْغَرْقَى
إِلَى أُخْتِي
لِيُونِيي أُوبْوا دَاشْبِي بَاوْ
Léonie Aubois d'Ashby Baon

حَشِيشَةُ الصَّيْفِ ذَاتُ الطَّنِينِ وَالنَّتْنِ
لِحُمَّى
الأُمَّهَاتِ وَ الأَطْفَالِ
إِلَى لُولُو Lulu
الشَّيْطَانِ الذي بَقِيَ بِهِ طَعْمُ المَنَابِرِ
مِنْ زَمَنِ الحَبِيبَاتِ
وَتَرْبِيَتِهِ المَنْقُوصَةِ
وَمَيْلٌ إِلَى الرِّجَالِ
إِلَى السَّيِّدَةِ ...
إِلَى المُرَاهِقِ الذي كُنْتُهُ

إلىَ ذَلِكَ الشَّيْخِ القِدِّيسِ
ـ تَنَسُّكاً أوْ رِسَالَةً ـ
إلىَ رُوحِ المَسَاكِينِ
إلىَ قَادَةِ الكَنِيسَةِ الأعْلَيْنَ
وَكَذَلِكَ كُلَّ المَذَاهِبِ
وإلىَ كُلِّ مَوْقِعٍ مَشْهُودٍ مِنْ المَذَاهِبِ
وَفِي تِلْكَ الأحْدَاثِ التي يَجِبُ الإسْتِسْلامُ إلَيْهَا
انْسِيَاقاً لِتَطَلُّعَاتِ السَّاعَةِ
أوْ لِفُجُورِنَا الجِدِّيِّ نَفْسِهِ
فِي هَذه اللَّيْلَةِ بِسِيرسِيتو Circeto
أعَالِي الثُّلُوجِ ...
هِيَ بَدِينَةٌ كَالسَّمَكَةِ
وَمُزَوَّقَةٌ كَأشْهُرِ اللَّيْلَةِ الحَمْرَاءِ العَشْرَةِ
قَلْبُهَا عَنْبَرٌ و (SpunK)
لِصَلاَتِي وَحْدَهَا الصَّامِتَةَ
كَأقَالِيمِ اللَّيْلِ تِلْكَ
وَتَقَدِّمَةً لِبُطُولاتِ أعْنَفَ
مِنَ الفَوْضَى القُطْبِيَّةِ
بِكُلِّ ثمنٍ وَعلىَ جَمِيعِ الألْحَانِ حَتَّى
فِي أسْفَارِ مَا وَرَائِيَّةِ
لَكِنْ أكْثَرُ
إذْذَاكَ

شعر : رانبو

حفنة أيام من الزمن الميت

قصة : حياة بن الشيخ

الاثنين :

لقد اجتمع شيوخ المدينة ليتناقشوا فى أمر خطير. الى الآن لم ندرك ما هو ؟ أهى محنة جديدة تحلق فى الافق ، أم مشروع نكبة فى طريقها للسقوط على رؤوسنا .. حتى شيخ حينا انضم الى الموكب الرهيب .. يقال .. ويقال .. ويقال .. والحقيقة لا من يعرف ماتاها .

لنتمهل .. من الحكمة أن لا نتعجل بالرأى .. ربما فى انتظارنا فرح لم نحلم به قبلا . فى حجرة ما الآن مصيرنا يخط . وحياتنا تدرس موقفا .. موقفا . حتما هم يتشاورون فى شأننا . لقد كثر النزاع فى الحارة . وعمت الفوضى جل ساكنيها ، لذا وجب النظر فى هذا الامر الشائك ، ذاك ما قاله شيخ حينا وهو يدعو الجمع بالدعاء له ، قبل أن يلتحق بالوفد .

ـ ماذا ! ومن أولاهم الحق بتقرير مصرى ، والبت فى شأنى .. من أوهامهم علينا ؟ أيتشاورون ، ويتلاعبون بحياتنا ونحن لا نكاد ندرى شيئا مما يدور حولنا ؟

ـ وهل كان من عادتنا أن نعلم ؟ نحن الشباب لا بد لنا من القبول .. مهمتنا هى الانحناء . الانحناء فقط للاوامر الآتية من فوق .. من مشائخ قومنا .. انهم أدرى منا بمصالحنا وقضايانا ..

ـ لكنها حياتنا ، لا يجوز لاحد أن يتصرف فيها دون موافقتنا ..

ـ تجديف أهوج فى يم الجبل . الاسياد يقررون ونحن ننحنى . مهمتنا الرسمية هى الانحناء والموافقة ، لا يجوز نسيان ذلك !! لكن لم التعب ؟

لنتركهم يقررون ٠٠ انها كنقوش فوق صفحة بحر هائج الموج ٠ لن يترك العباب منها شيئا . ما الذى يرغمنا على قبولها ان لم توافق مطامعنا ؟

ـ لكنها الآن صفعة ومذلة لنا ٠ الدوار يتسرب الى بدنى كله ٠ يدفعنى الى ما لا أبغى ٠٠ لم أعد أفهم ما يدور حولى !!

ـ ومتى فهمنا ما يدور حولنا ؟!! نحن فى غيبوبة ولا اخالنا سنستفيق منها أبدا ٠ بل الاجدر بنا أن نبقى فى فخ دوارها أسرى مستسلمين ، لا أشباه مناضلين منهزمين .. ما نفع الصراع اللامجدى . الرتيلاء المقطوعة الاوصال لا تقاوم . انما المهم هل نحن سنبقى بعضنا مع بعض ؟ هل هناك من أمل ؟

ـ وما جدوى أن أكون معك أو عليك ٠ لا تزد المياه تعكرا ٠٠ هل يذكر التاريخ عليسة وموقفها البطولى ؟ فمن شيم التاريخ ، النسيان ٠٠

ـ موقف جنونى ٠٠ ربما البطولة والجنون لم يعد بينهما أى تمييز ، مادمنا قضينا على التفرقة ، والتمييز العنصرى فلا فرق بين البطولة والجنون .. الجد والعبث .. الفداء والغباء .. الكل يرزح فى سفح نفس الدائرة المتشابكة ..

ـ هل من نتيجة ترتقب ؟

ـ ربما ٠٠ سعادتنا تكمن بين أيديهم ٠٠ الصواب هو أن نبتسم ٠٠ وننتظر ٠٠

ـ أراهم انهم فاشلون لا محالة فى مساعيهم .. لن يصلوا الى شىء دوننا ٠٠ وستكون ، لا ، دوما معى ٠٠ لا ٠٠ لا ٠٠ لا .

ـ لابد أن نؤمن بالغد ٠٠ الايمان والعقيدة هما أساس العزيمة الصادقة ٠ لو نحاول ٠٠

ـ كاذب ٠٠ لو أخبرتنى حالا عن رأيك بصراحة عن حقيقة الايمان ، والعقيدة سأكون لك دون قيد او شرط ٠٠ دون انتظار مشاوراتهم ، وقراراتهم المجترة ٠٠

ـ لكن هذه أمور يصعب شرحها فى كلمتين. ونحن نحس بوجود الله لكننا لا نراه . نسلم بوجود الحياة ، لكننا نجهل غايتها ومنطلقها ، كذلك الايمان ..

ـ منطق سقيم لا يرتكز على فكرة سليمة . تنقصه الثقة ، والجدية العملية٠ انه هروب من شىء الى قفر اللاشىء ٠٠

– ليس من طباع الاسود أن تترك أوكارها للثعالب ترتع فيها ٠٠ او تسوى أمورها ٠٠٠

– اذن ما العمل ؟

– سأسأل عليسة ، فبين يديها الحل ٠٠

– ماذا ؟ كفى هذرا ٠٠ ألم تشعرى أنك تتشبثين ببقايا عاطفة اندثرت بتشتت شمل قريش ٠٠ ما زلت أتساءل لم أقدمت عليسة على فعلتها الشنعاء؟ أكان من الامر بد ؟

– عظماء التاريخ من اختاروا الموت سبيلا ومنطلقا .. حنبعل .. عليسة .. كليوبتره .. ولكل ذى مجد نهاية رائعة وفظيعة .

– حسبنا جبنا ٠٠ لقد احتل التخاذل كل القوى ٠٠ لاجل ذلك اغتنم الآخرون الفرصة ومسكوا زمام الامر والنهى على حسابنا ، ما دمنا نحن لم نعد نعرف الى أية وجهة نقصد ..

– لقد أصبحت نصف انسان ٠٠ ونصف حيوان ٠٠ وبداخلى معركة دائمة بين هذين المخلوقين ، ولست أدرى لمن الغلبة للانسان أم للحيوان ؟ لمن النهاية ولو أنى فى قرارة نفسى لا أؤمن بأن لابد أن يكون لكل شىء نهاية أمتع الامور وأشنعها ما تكون بلا نهاية .

– أما أنا ما زلت أتساءل ماذا أفعل كى أكون انسانا ناجحا له مكانة مرموقة .. الى الآن لم أصل الى ما اصبو اليه .. وكل مساعى باءت بالفشل..

– لكى تكون انسانا ناجحا لابد أن تتحصل على الكفاءات المطلوبة أما علمت ذلك أيها الغرير .. النهب .. الانحطاط الاخلاقى .. الرياء .. النفاق .. أقة تملق من حبة شذوذ ، ثم بعض من السادية تتوج ذلك ، وتتم لك الكفاءات المطلوبة ٠٠ بل ربما أصبحت زعيم الاوغاد بهذه المزايا ٠٠ التاريخ مملوء بأبطال أوغاد اغتصبوا الامجاد ، وتركوا للبله هبة الفداء ٠ أمام كل عظيم ، أحمق أو خسيس يفتح الطريق ويعبده .. ثم يستشهد مزهوا حاملا معه تاج التضحية الملطخ بالدم ٠٠ الحياة يموت فى بنائها التعساء ، لينعم برغد عيشها العظماء .. هذا ما قاله شيخ حارتنا بعد صلاة الجمعة وقد رحت أسأله عن دور الطالع فى متاهات القدر القذرة ..

ـ لكن كيف وصلت اليه ؟ هذه هى المعجزة الحقيقية ٠٠ ذلك العبد الاسود حارس بيته لا يترك من يقترب منه ٠٠ أصبح يرافقه حتى الى المسجد ٠ يبعد عنه الجميع بجسارة وقحة ٠

ـ لقد وصلت كليوبتره الى قيصر وقد لفت فى سجادة .. ليست الوسيلة المعدومة لدينا ٠٠ انما العزم ، وان قلت سأصل ، فمعنى ذلك انى سأصل٠

ـ ترى أين هو الآن ؟ أما زال ٠٠

ـ ما زال الجناة مجتمعين ، يقررون مصيرنا ولا من يقصيهم عن دناءتهم اذ هم يعرفون انهم قادرون على محوها ببسمة فاترة ٠٠ او كلمة معادة ، ما أسهل أن نتبرأ من قذارتنا ٠٠

ركعة أمام جمع غفير .. آهة حرى ، ثم تخرج الجنازة مكللة بالوقار وما على الذئب من حرج أمام الخرفان المقطوعة الآذان ، والقرون ٠٠ ويشاع أن اليوم ليس كالامس ٠٠ والغد حتما لن يكون كاليوم ٠٠ ولا على المعتوه من عتاب ٠ والهذيان ميزة ، لا علة كما يدعى البعض وغيبوبة الحمى راحة لا يتحصل عليها الا من ثقلت كفته بالآثام ، أما خالى السريرة فسيظل كالدلو الفارغ المثقوب القعـر .

العاقل الآن هو من عرف كيف يظل سابحا فى وادى غيبوبته الى الابد ٠٠ يركن الى لوثة العصر ٠٠ لا يستفيق ٠ لم الاستفاقة الكى يشاهـد رقصـة المهرجين فى سيرك الايام ..

ـ التهريج أصبح فلسفة عصرية ٠٠

ـ الفلسفة التى ينقصها التركيز والوعى المنطقى ، ليست بمنهج سوى او قل هى فلسفة انهزامية ٠٠ فوضوية ٠٠

الفراغ يفتت أرواحهم ٠٠ لابد من اختراع مشكلة يتلهون بها ، فانكبـوا على مصيره ينقبون فى خلائه القاحل ، وهم فى الواقع لا يجهلون أن مصيره لن تنحل رموزه وأنا بعيدة عن حلبة النزاع ٠٠ لكن لو عرف شيخ حارتنا أنـه قدم لنا جميعا خدمة جليلة لا تعوض لمات حسرة ٠ لقـد أنهـك قـواه وأراح عقولنا ٠٠ العالم لم يعد فى حاجة لا له ولا لنا لحل نزاعاته ، وفض مشاكله٠٠ نحن لا نزيده الا مشاكل وتعقيدا ٠٠

ـ يا لنا من تعساء ٠٠ نسينا أنفسنا واستبد بنا العجز حتى افتك أفراحنا واتراحنا على السواء .. كدنا ننسى الضحك . عمر مضى دون ابتسام . لكن

من الحتم أن أبتهج رغم كل شيء ما دام كبار حينـا يتشاورون في شأنـنـا .. **لم أكن أحسب اني خطير لهذه الدرجة ..**

– ومن قال لك : إنك خطير أيها الابله .. انهم لا يتشاورون في شأنك كما تتوهم ، بل انهم يتنازعون مصالحهم .. **يتقاتلون على الغنائم التي لن يكون لنا فيها أي نصيب ..**

– وما نكون نحن اذن ... وما قيل ..؟

– لا شيء . حرف معوج ، رسمته يد لاهية . طمسه الحبر فلم يعد يظهـر **منه غير نقطة مشوهة بلا معنى !**

– اذن مأساتنا تحتاج الى قضية عاجلة . سأقدم شكواي الى ذلـك العبـد الفظ ليقدمها الى سيده ما دمت لا أستطيع أن أقترب منه لا بد ان يهتم بأمري **جديا ، وعاجلا .. لابد ..**

– الشيء الوحيد العاجل في هذا الحي ، هو الخيبة . **فهي لا تتـرك لـك فرصة التأجيل** ، او المراوغة أبدا . الخيبة بكل معناها المنمقة المدبلجة . **أما ما بقى فمؤجل لا** يدخل في بوتقة الزمن الميت .

الاربعـــاء

أمل آخر يموت . وأمـان أخـرى تغيب خلـف متنـاقضات الاحـداث .. **والساعات تعدو . تدوس ما حولها بلا روية ، او اشفاق كما داس اكتافيوس** على جمال كليوبتره الذاوى، وقرر في لحظة غرور أن تكون ضمن قافلة أسراه.. ولولا الحية الرحيمة لسارت كليوبتره بتاجهـا المنهوب في عربـة الاسـرى مع **العبيد ، تذرف الدمع على ماض راح ولن يعود .**

كانت رمزا للشجاعة ، ابتسمت للمجد لما راق لشبابها ، **وانحنت للهزيمة بتحد لما اطلت هذه بوجهها الكالح .**

عليسة منتصبة بكل شموخ مكان الضحية ، تستل الخنجر من صدرها ، تغرسه فيه بكبرياء فذ .

دوار مرعب يجتاح القوم . يولى يابون الادبار هاربا من شبح مهول لا يعرف من أين سينقض عليه . وقد كانت الطعنة فوق ما يحتمل . والنار تستعر . تلتهم الضحية ، وعلامات استفهام حائرة تجول في الافق تطفو فوق شرارات

الغموض ، ولا جواب غير الذهول • عليسة تحترق دون ضجة •• دون عويل .. والحية تتلوى تبحث عن النهد البض لتنفث فيه سمها . تلتقط منه بذور الرفعة والاباء ••

يعود اكتافيوس أسيرا ، مقهورا بعد ان طمع فى العودة منتصرا • صفعة لا تنسى ، وما على روما الا ان تذوب فى نيران عليسه ان ارادت الخلود والا فما امامها غير الانحناء للقوى المضادة . تنحنى لهذيان الطبيعة المحمومة الانفاس .. فالخلود يقبع هناك فى مفترق طريقين : بين حية كليوبتره، ونيران عليسه .. هما أمران أحلاهما مر كما ترنم بذلك أمير منكوب فى شبابه وامارته .. وانا ما امامى الا الزحف نحو أحد الطريقين ان أردت الهروب من لوثة طاعون الزمن المتعفن ••

وتلك الهوام اللئيمة التى أراها زاحفة دوما نحوى بثبات خبيث • لم أعد أدرى أهى حقا هوام حقيقية ، أم أن وجودها هى الاخرى غاص فى هوة الايجابية المنتهكة •• التهمته السلبية المتمركزة بقواعدنا • لكننى أعرف أن الهوام ستقتلنى قبل أن تلتقفنى شرانق السلبية العصرية المدمرة .. تعفن .. تعفن •• تعفن ••

الخميس

الحشد يتزاحمون • همهمة خبيثة تتسكع بين الخناجر • هواء بارد يلفح الوجوه • تنقنق ضفدعة محيية الجنازة بلحن كئيب • ثم تعود تنغمس فى مائها الآسن •

الميت يجلس القرفصاء فوق النعش المرفوع فوق الاكتاف ، يرنو بعين دهشة الى المتزاحمين حوله ، بين ساخر .. وعابث .. وخائف .. ومسطول .

ينتزع بيد مرتعشة كفنه • يتمزق يظهر الوجه شاحبا • عابسا • متسائلا فى بلاهة مقرفة • أرمق الوجه الشاحب والم حاد يعتصر قواى • كان الميت الجالس القرفصاء فوق النعش ، أنا !! كان أنا !! وكنت فى نفس الوقت أسير بقدم عرجاء خلف الجنازة ، أضحك علانية مع الضاحكين •• وأنوح فى سرى ..

يا للجبن !! لقد قرروا دفنى حيا • سيدفنونى رغما عنى • آخر درجة فى سلم السفالة • بعد خضوعى ، وترقبى ، وانصياعى المعتوه أدفن حيا •• وهم يتبعون جنازتى مهللين ، مباركين دون أسف أو وخز ضمير •

أريد أن أقفز نحو الميت · اختطفه من فوق النعش المتمايل بين الايدى الوسخة ·· نهرب معا ·· لكن من الميت الاصلي ؟ أهو الجالس فوق النعش أم أنا السائر خلفه ؟ ثم من أنا ؟ أأنا المتعثر وسط زحمة الجنازة ، أم ذاك القابع فوق النعش المحمول فوق الاكتاف ؟ من أنا ؟ لكى أبدأ بالفرار لابد أن أعرف من أنا ؟ ومن هو ؟ أم يتحتم أن نهرب أنا وهو الى أرض مقفرة ، وهناك نتشاور.. ونتساءل من هو ؟ ومن أنا .؟ من نحن ؟ ماذا نفعل في أرض اليتامى السجناء ؟ وربما وجدنا جوابا للسؤال ·· أم لا ·· ربما ··؟

الجمعة

صحن ضفادع ، انها أغلى أكلة ·· مع كأس نبيذ معتق ، ذاك ما قدم شيخنا لضيوفه كى يسلب رضاهم ..

ـ لا تغرينى ·· أتركها للعظماء ·· من أكل ضفدعة ، لا يتورع عن التهام شريحة لحم من جسم بنى جنسه · قيل لحوم الآدميين لذيذة · أسألهم عن ذلك .. أنا اكتفى بقطعة لحم مغشوش لا يتبع تسعيرة قانونية .

ما أشنع التملق ·· ها هم وقفوا كأنهم أعمدة رخامية محشوة بالنفاق ، والشراسة المستترة ·· كل يتباهى بمقدرته على التملق · مباراة عصرية فى حلبة الانتهازية ·· والفوضى الدولية · الامن · المبادىء ·· الحرية ، كلمات ميتة فقدت نفسها بعد ان التصقت بعجلات سيارات المهرجين ··

وكانت صورة الطفل الدامع العينين تراود الافكار · توشك أن تثب من بروازها البرنزى لتكتم أنفاسهم · يبكى · تبكى معه عشرات الآراء المتضاربة ·· والاقوال المتناطحة ·· والعجوز العارية بنهديها المترهلين اللذين جف من نبعهما اللبن . تمد للمجهول يدا . ماذا تريد ؟ تطلب غيثا ؟ ممن ؟ ربما هى الاخرى لم تعد تدرى فى ظلمة البلايا ·· ومن يعرف أمرا فى حلكة السجن الضيق الذى يضم هياكل المتشردين والحرية المفقودة تنعى لحظة مضت من الزمن الميت ، كادت أن ترتع فيه لحظة فى غفلة عن الاعين ، لكن الامل ولى مع الايام الفانية ولم يبق سوى القلب المتحطم ·

والكل يتوهم أنه جاء باليقين ، وجلب سعادة الكون لتستقر بين يديه · وأنه مطلع على الوصايا العشر الازلية .. لكن الحقيقة حتما هناك حيث لا يخطر ببال ، هناك فى نبع النهدين اللذين جف رحيقهما ·· فى دمعة الطفل المنسابة على خديه باستحياء تتحدى تملق المزيفين ··

ـ لقد تهدم ما بنينا ٠٠ أو يوشك أن ٠٠

ـ وهل بنينا شيئا كى يتهدم ٠ الدنيا أمامنا ما تزال نفسها ، نسخة ناقصة لمشروع ٠٠ ما هو ٠٠ لا أحد يدرى ٠٠ لكن الذى أعتقده لن ينجز هذا البناء ، ولن ننعم ولو بمتعة هدمه ٠٠

عندما يتهاوى البعض ، يرتفع آخرون هذه المعادلة الحق .

بكى ٠ ضحك ٠ ارتفع ٠٠ هوى ٠ صعد ٠ نزل ٠٠ ولا شىء باق الا الحزن ٠٠ يا حزنى المتفشى فى صدر ليلى ، اليك يدى ٠ لن نرقب بعد الليلة نهارا ٠٠ قد اكتمل بدر التشرد وآن لعليسة أن تمضى مع رياح النهاية المحتومة٠٠ والخنجر قد التحم فى الصدر الثائر بالاحلام المحتضرة ٠٠ والطريق قاتم وواضح يجرجرنى نحو قدرى الاعمى ٠٠

ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

هناك كارثة ما على وشك الوقوع . ما بعد هذه المحن الا كارثة تمحو أوساخ أيام ممحوقة . وليال بلا ليل بانت تضىء لنا شموع توجسنا ، وقرارات خطت فى حالة تشنج عاطفى لن تنفع فى غد ولا ماض ، انما هى تقصم ظهر الحاضر ولا تتركه يتحرك ٠٠ ونحن ابرياء من مساوئها وميزاتها ٠٠ بل لا نكاد نجد أنفسنا فى مطاويها ٠٠ حتى الوساوس والتوجسات تخلصنا منها بالنسيان ٠٠ الغرق فى غيبوبة النسيان الترياق الوحيد الناجع ٠٠ لابد من عملية تخدير شاملة لا تترك للوعى منفذا ٠٠ وتعيد الامن الى نصابه وتزرع الثقة فى النفوس ٠

التخدير .. التخدير .. كان من الحكمة أن لا نسير البتة فى هذا المنعرج ٠٠ ولكن ما قيمة الحكمة والندم ان وضعا فى جراب الاسف المهترىء ٠٠

وها هو العالم يسير بنا ويحدونا ٠٠ والاحداث تجلبنا اليها ، وحكم علينا بالمشاهدة من بعيد .. من بعيد فقط .. والمفر ، الى أين ؟ فقد حشر مصيره فى قمقم النسيان واجبرت على البعد عنه قسرا .. لكنهم لم يعرفوا بعد أن العالم الحقيقى تنبع مجاريه من داخل أعماقى ٠٠ ينهب صوته من صرير أمعائى ٠٠ يختطف أنفاسه من لهيب أعصابى ٠٠ يختلس قواه من أطنان همومى ٠٠ ولكن ٠٠

قررت الصمت والانزواء ٠٠ ما دامت الدنيا تستطيع أن تسير بدون رضاى ٠ والعالم يمكن أن يعيش مزهوا ، متجاهلا وجودى برغم أن أنفاسه قد

نهبت من رحيق وجودى .. ما عاد أمر يهم .. ابتدأت رحلة التخدير والنسيان ، والى أين سيمضى بنا الركب .. لا تسل ..

السبت

ـ لقد فرت خليلة شيخ الحارة . اختلست فى غفلة عن القوم كل ما له من جواهر ، وأموال ورحلت . حتما لم يتفطن بعد الى ما جرى .. انما عندما يصله الخبر ، سيصب نيران بطشه على الحى .. مصيبة هوجاء فى طريقها الينا .. ترى ما بعد هذا الصراع .. والازمات .؟ فقدنا الهدوء وتخلت عنا الطمأنينة .. ترى ما تخفيه الساعات القادمة .؟

ـ فقدت الطمأنينة من يوم فقدت الشعور بوجودى ، أين مكان الطمأنينة فى جو متوتر الاوضاع .. متقلب المزاج .؟ وها هو الغد غدا قصة مملة لا تلفت الانتباه .. ولا شيء له غد فى مملكة التشتت ..

لقد أصبحنا كرواسب البن فى فنجان قهوة مريرة الطعم .. لكن القهوة تجد دوما من يحتسيها ولو مرة المذاق ، أو مخلوطة .. اما الرواسب فمن سيهتم بلحسها ..؟

ـ سنتركها لنقرأ بها الحظ . الحظ الذى سيكون منكودا ، معرضا للغزو من جميع الجهات ..

لو كان بيدى غراب أسود اللون ، لن أحمله رسالة فى جناحه ، انما سأخط فوق منقاره كلمة واحدة ، وارسله ليحلق فى الجو راكلا ما حوله بتمرد أعجف .. فى عهد المحبة والسلام ، كانت الحمامة البيضاء رسول ود وخير ، انما الآن فى عصر التكالب البشرى فلن يكون رسولنا غير غراب أسود .. « مهزلة الفداء .. فى مسلخة الرياء والضمير الميت .. »

ـ كنت أخالها « معجزة الرواسب التى تصنع من الطين أقمارا .. ومن التراب اشعاعات ذرية نزين بها جيد الحياة الزاهية ..

ـ الحياة الجائعة ليست فى حاجة الى اشعاعات ذرية ، أو أقمار بقدر ما هى فى حاجة الى نفحات ود ، ونسائم انسانية تعيد النفس المفقود الى روح الخير المتخاذلة ..

ـ ان كان علي لقد عرفت دربى ٠٠ وجدت فى التزهد ، والتعبد مسلكا ٠٠ هذا هو الترياق الوحيد للعزائم المنهارة ٠٠

ـ أووه .. قل هو مخدر من نوع جد مألوف .. من صنع محلى ، يشجعك على تناوله تجار التعصب المبدئى ٠٠ والخواء النفسى ٠٠ انه التسول الروحى أمام أعتاب الله ٠٠ التسول لاستجداء أملا واهيا يملا جحر فكر مريض ٠٠ لكن ليس للظفر ولا للارتياح مكان فى أفكار لم تجد بعد ملاذها الاصلى ٠٠

التسول .. عندما يستحيل الشعور الى مادة .. والهم الى موضوع حقير تناقشه أدمغة غبية ، يصبح الحر عبدا مطاردا حكم عليه بالتسول ٠٠ بالدفن تحت أكداس البؤس المقاتل بعضه بعضا ٠٠ قبل ان يلحقه الاشقياء ٠٠ حيث يقودونه الى مشرحه التفسخ .. يعتصرونه . يبيعون ما سال منه كزيت معطر يضمخ به كبار الحى رؤوسهم ، وذقونهم ليحضروا احتفال تقرير المصير ٠٠ قبل أن يضعوا أعناق الحمقى فى سلاسل الآراء الملطخة بالوحل ٠٠ يسارعون الى شم الطيوب قبل أن تنفد رائحتها .. لكن ..

فالعبيد كثيرون .. والضحايا يتسابقون لبيع أجسامهم بلا ثمن وقد أعياهم التسول .. وأتبعهم الهروب . تمنهم أن يلمحوا بسمة رضى جاثمة فوق الشفاه المتبرمة دوما وهى تتفوه بكلمة عابرة تدين حياتهم المتأرجحة فوق خيوط عنكبوت ..

التزهد ٠٠ التذبذب ٠٠ التسول ٠٠ يا دهر الاحرار المتسولين أين الملجأ الاخير ٠٠؟

الاحد

كان عارى الجسم ، مقطوعا الى نصفين ٠ النصف الاعلى يتسلق ظهر سلحفاة عظيمة الجثة تئن من لفحات حمى موبوءة تفشت فى الحى كله ٠٠ والنصف الاسفل يرشح دما يمتطى قفا حلزون عملاق يحث الخطى نحو قبلة مجهولة هاربا من صرخات تلاحقه يجهل مصدرها ٠٠

النصفان يحاذيان خطين متوازيين ٠٠ لا أمل فى التقائهما ٠٠ يتسابقان مع قوى خفية تحاول عرقلة سير ركبهما ٠٠ يتسارعان ٠٠ يسير خلف الركب

سرب من الخنافس السود ·· تلمع سحنتها فى وهج الشمس الساخرة ·· تتواثب هنا وهناك ··

يصل النصفان بعد جهد ، وعناء شاق الى الخيمة حيث ينضم مصيره المتناثر القطع · الخيمة ممزقة · مكسورة الاوتاد ترزح فى سكون الخلاء الصامت · الاعشاب الجافة تتأوه بصوت جريح ترثى حدثا ما · وأكـوام مـن التراب ·· التراب فى كل مكان ·· التراب وفى صدره أوراق مبعثرة · وأقلام متحطمة .. وأفكار مفتتة .. تعض بعضها بعضا .. لافظة أنفاسها .

وقف النصفان يرمقان الخيام الممزقة بعد أن تركا ركابهما ·· ثم اندسا تحت التراب .. التراب المأوى الاخير لكل شىء . منه جاء واليـه يعـود كل شىء · وفوق أكوام التراب بقيت عشرات الخنافس ترقص ضاحكة ، ترفس بقدم جريئة القرارات العقيمة .. تضحـك .. تضحـك .. تضحـك .. تبصق على سحنة الاحرار المتسولين ·· وعليسة ما تزال تحترق ·· وقرطاج تهوى حجرة ، حجرة فوق رأس غاصب نكر الهوية ·· الكل يحترق ··

. جيوش منتصرة تهتف بفرح · وجيوش منهزمة فارة تبحث عن طريق لها .. وعليسه تحترق .. والحية تثب فى عزم مريب . تصل الى الطفل الدامـع العينين ·· تلتوى حول عنقه ·· تنفث سمها فيه ودمعة تتحجر فوق خديه · تشيع جنازة المتسولين ··

ـ هل عاد شيخ حارتنا ؟ ماذا فعل ؟ هل ؟

ـ لقد قرروا شراء رغيف يابس ، يسدون به أفواهنا كى لا نسأل .. ثـم ألسنا جياعا .. ماذا نريد غير الخبز الجاف .؟ ماذا ؟

ما جدوى السؤال فى دنيا اليتامى بلا يتم . الثكالى بلا ثكل . ستطوينا يوما الاشجان ، ونغوص فى قبر الزمن الميت ، ولن نشتم حتى عفونته ما دام زكام النكسة قد سد أنوفنا .. وحتما ستبقى الحياة بعدنـا حفنـة نقط استفهـام وغموض ·· أو بالاحرى ستظل جوابا سخيفا بلا سؤال ·· لانه ليس من له الجرأة ليطرح سؤالا ..

حياة بن الشيخ

الحب الكبير

شعر : محمد الغزالي
(باريس)

يا زهرة الروض الصغير ،
شفتاك ما أحلاهما
جرح يكلله اللمى
جرح يواسيه العبير ،
ويذود عنه النسمة الهيفاء
شعر كالحرير ،
لن أكتب الأشعار فى نهديك
أخشى أن يداعبك الغرور ،
لن أقبل الابحار فى عينيك
ترعبنى الزوابع والصخور ،
لا تتركى اللذات تنأى
عن مدى خديك فى العمر القصير ،
لا تتركى الجيد المنور ينثنى
فتضوع فى الكون العطور ،
وتبسمى لليل يهديك الأحبة والرؤى
ويتيه بالقمر المنير .
يا غابة الأحلام
كونى القطة السمراء أو بنت الأمير
سأحبك ..
وأضمك ..
وأعانق الأشواق فى شفتيك
كالورد النضير ،
وأظل فى أسر الجمال ،
أشدو من الوجد المثير
وأصوغ شعرا كالندى فى الفجر
ينتظر النهار ،
إليك أشواقى ، فهل تدعينها تسلوك؟
يا حبى الكبير .

محمد الغزالي
ـ باريس ـ

البطل اليساري في الرواية العربية المعاصرة

بقلم : المنصف وناس

– 3 – (*)

ولعل فى هذا خطوة ايجابية أن تتطور الرواية العربية نحو الاصلح وتستوعب جدلية تغيرات عصرها ، وتكون بذلك الرابط الامين بين الاجيال اللاحقة والحقب التاريخية التى فاتتها ، لان قيمة الادب الوثائقية هى فى القدرة على تصوير الظروف ومتغيراتها ثم فى الاستجابة والتأقلم مع متطلباتها. وبما أن عصرنا لم يعد عصر خوارق ومعجزات ، فانه من الطبيعى أن يصبح الحضور الجماعى السمة الخصوصية له والطابع الغالب عليه . ومن ثم تأتى رواية «الايام الطويلة» لتدلل – قوميا ومحليا – على أن طريق التغيير والتحرير ليس ضربا من التبجح والتبرج بقدر ما هو قناعات وتضحيات جماعية وتناسق حركى وايمان مؤجج بحتمية النصر :

– « أرى يا شباب ... غدا ... علما يرف على كل قطعة فى أفق بغداد ... أرى لونا أخضر فيستظل به كل أهل هذه المدينة أرى وطنا خاليا من الجوع ، خاليا من الارهاب ... خاليا من أيما جسد يتلظى تحت السوط » (19)

وهذا الجيل الذى تحدث عنه عبد الامير معلة ليس جيل أحلام رومانسية وأمنيات معسولة تستوى فى نظره الحياة والموت ، ويحمل السلاح ليسقط النظام الفاشى المتربع على الحكم ، ولذلك ، فلا يعتبر جيلا من الشباب الكسالى والمتعاطين للخمول والنوم . ولقد استطاع هؤلاء الشبان تحريك كامل الاوساط ابتداء بالاوساط الطلابية الجامعية والعمالية وانتهاء بالاوساط الشعبية التى لا تهتم بغير الخبز اليومى عن طريق مناشيرهم

(*) تابع لما نشر فى مجلة « الفكر » العدد 5 / س 25 / فيفرى 1980 .

(19) ص 9 من رواية الايام الطويلة لعبد الامير معلة : دار الحرية للطباعة الجزء الاول

ودعايتهم المكثفة وتحركاتهم الموجهة الى كامل الفئات . وبفضل خلاياهم الثورية المتواجدة فى كل مكان ، استطاعوا زعزعة أركان النظام المنهار وادخال الرعب فى هياكله القمعية حتى ان سليم يقول :

ـ أمس ألقوا القبض على عدد من شبابنا ...

ـ كيف ؟

ـ كانوا مجتمعين فى بيت

ـ الاعتقالات لم تعد شيئا يلفت النظر ، مط واحد منهم شفتيه ولم يكلف واحد منهم نفسه أن يسأل عن الذين تم اعتقالهم :

قال سمير :

هذا نظام لم يعد يعيش على غير ذلك ... (20)

وهكذا وبكل اصرار تتدافع أفواج من الشباب على درب العطاء والنضال وكلها يقين بحتمية النصر رغم ضراوة النظام واستبداده باعتبار المنحى والتوجه الديالكتيكي للتاريخ الذى يقوم على الانتصار ان آجلا أو عاجلا للحقوق المغتصبة . ولعل ما يشد الانتباه فى هذا الجيل المؤمن بالقيم والمبادىء اثناء النضال فى سبيل اثبات وجوده هو هذا الانضباط والالتزام الصارم والمدقق بتعاليم ومبادىء الحزب الذى ان دل على شىء ، فانما يدل على ترسخ فى الاعتقاد وتجذر إيديولوجى واع ، كم ان الشباب العربى فى حاجة الى الاقتداء به وتطبيقه !؟ (21) .

فالهوية الايديولجية التى ينطلقون منها واضحة فى اذهانهم لا لبس فيهـا لانها تمثل التحليل العلمى والموضوعى للمجتمع المستقبلى المنتظر ، وهم فى سبيل ذلك يستسيغون كل أشكال النضال العنيفة منها والسلمية مثل توعية المواطنين وتهديم ركائز النظام . ان ما يشد الانتباه فى هذا الجيل هو القدرة على التخطيط الستراتيجى وضبط أولوية الاهداف والاعمال بدون أدنى اضطراب أو عشوائية وسوء تخطيط ،، كل ذلك فى اصرار صادق وثورية منقطعة النظير .

---

(20) ص 6 الجزء الثانى من نفس المصدر السابق

(21) ص 31 الجزء الاول

أما عن الناحية التنظيمية داخل الحزب ، فانه لا تتواجد - كما هو معهود - عناصر قيادية منظرة وأخرى حركية عملية ،، وعلى العكس فان هذه السلمية البيروقراطية تكاد تنعدم أو هى منعدمة بالفعل نظرا لتساوى كل العناصر فى النضال والتخطيط للتحرك والعمل ، حيث لا سيد ولا مسود . ولعل مما يدلل على يسارية هذا الجيل الثائر والمنحوت من المعاناة والارهاق ليس نوعيــة الشعارات التى يرفعها ولا تنميقه للكلام والخطب ولكنه الرفض القطعى والقاطع للاصلاحات والرتوش التى يقدمها النظام الحاكم آنذاك احتواء للمعارضة وتغطية لعجزه عن تسيير دواليب الدولة . فالخلاف أعمق من أن يكون قضية اصلاحات ورتوش ، انه قلب جوهرى وجذرى لطبيعة الحكم وتغيير مجرى سياسة كاملة داخلية وخارجية ولذا وجب احداث الثورة الشمولية داخل المجتمع وانصاف الجماهير المهدورة الحق . ورغم ان ذلك يكلفهم تضحيات جسام فانه لا يهم أمام الهدف المرسوم على الامد البعيد ، وهو التحرر من نير الفاشية :

« كان محسن الملاح قد دخل الى المطبعة قبل قنيل وتناول بيده نسخة من منشور حول الاضراب ، كان دولاب الطباعة يرتفع وينخفض بسرعة منظمة ليرمى بالنسخة المطبوعة ورقة فوق ورقة » فالتناقض بينهــم وبين النظــام ليس تناقضا ظرفيا ومؤقتا بقدر ما هو تناقض مزمن وتاريخى يفرضه اختلاف الاطروحات السياسية والاقتصادية ونوعية الممارسات وطبيعتها ولقد دفعتهم قدرتهم التنظيمية وقوة حركتهم السياسية وحيوية عناصرها الى تهديد النظام ليتأكد من ان قوته عاجزة عن حمايته من ضربات الثوار القاصمة والمهلكة .

ومن هنا تتضح لنا خصائص البطل اليسارى ،، وهو الانسان الكافر بالعجز ونواميس العجز ، والقادر على الفعل والعمل عكس بطلى « قنديل أم هــاشــم والقاهرة الجديدة » ...

ولئن حالت الظروف دون اتمام العملية حتى آخر نقطة فيها ،، فقد كشفت عن صدق الاصرار وصلابة العزيمة ، حيث ان نماذج الابطــال التى رأيناهــا سابقا عودتنا على أن تخطط لاضراب أو تحرض على الثــورة أمــا أن تدبــر لاغتيال قمم التعفن ، فذلك أمر مستحيل ، بل قل لا مجال للتفكير فيه ناهيك عن تنفيذه .

ومن هنا يمكن اعتبار رواية « الايام الطويلة » خطوة متطورة عــلى درب اغناء مفهوم البطل اليسارى فى الرواية العربية المعاصرة لانه لم يعد مجرد

نبي يحمل رسالة اصلاحية فوقية منزلة فيعلم ويبشر وينذر ،، بل هو انسان قد يمتاز بوعيه واصراره ، ولكنه انسان عادي يشقى ويتعب مثل جميع الناس ،، يحتوى ،نشاطه، على تنظيم سياسى معين حتى يحميه من التسيب وضياع المجهود بدون طائل :

قال طالب بصوت يقطعه اللهاث المر والجاف لم تعد بى طاقة على الركض يا دحام

قال دحام ...

الركض أرحم بك من أيدى شرطة الحدود

ثم قال :

لا تلهونى يا جماعة الطريق قصير ولكنه ،، خطير ،، (22)

ويواصل عبد الامير معلة رحلته مع هذا الجيل الثائر والمؤمن برسالته التاريخية ،، الا أنه لاول مرة نعيش مع البطل اليسارى نصرا مؤزرا ، حيث تكلل كل هذه المجهودات النضالية بتتويج ثورى لتنتصر اراده الجماهير والحق فى نهاية المطاف .. ولئن كان هذا الرمز معنويا هو اشارة الى انتصار حزب على بقية الاحزاب اليسار فى الوطن العربى ، على عكس ما يذهب اليه مثلا نجيب محفوظ وغيره من الكتاب العرب المعاصرين وحتى القدامى .

فرواية « الايام الطويلة » تجسد فعليا ايمانا بالوطن والانسان والارض وتأكيدا على حتمية النضال ترسيخا لكل قيمة من هذه القيم الثلاث ،، وفى رأيى ان الرواية كاملة لا تتجاوز اطار هذه التحديدات ، ولعل فى ذلك قدوة لبقية الروائيين العرب حتى ينسجوا على منوال هذا العمل النابض بالثورة والرفض والتحدى :

.... ثم حاول أن يشخص لونها تحت الظلام بعينين هزيلتين ثم صاح بأعلى ما تبقى له من صوت :

ـ نحن فى أرض الشام

ومد يديه نحو الرمل وتشبثت أصابعه الخمس بالارض وقال :

---

(22) نفس المصدر ص 202 و 203 الجزء الثانى

ـ سلاما ... فأنت هنا (23)

ان الرواية العربية استطاعت أن تكون اطارا نموذجيا يستوعب التناقضات والتضاربات السائدة هنا وهناك ،، لكنها ما استطاعت تأطير هذه التناقضات وقولبتها حسب سبك أيديولوجي هادف . فالرواية كتأدية فنيـة ومحمـل مضموني احتضنت سمات عصرها ، ولكن نقلها للوقائع كان نقلا تسجيليـا وتصويريا لا تجد فيه أدنى مجهود لربط ظاهرة من الظـواهـر النفسـيـة بانعكاساتها داخل البنية الانتاجية والهيكله الاجتماعية
ومن ثم تسطحت الاطروحات داخل الرواية العربية وأخذت مجرى مختلفا عن المجرى المطلوب حتى ان البطل يتخذ مجمل وعيه ومواقفه وحركـاتـه لا مـن قضايا أساسية وارتباطات متجذرة بالتشكيلة الاجتماعية والبنية الاقتصادية ،، بقدر ما يخضع كل هذا الى تبريرات مهمشة وتعليلات خانية الوطاب حتى تجعل كامل التمحور الروائي ضربا من الانشاء أو التنظيرات الفوقية التي لا تدعمها أدنى آستنادات .

فسواء أكان البطل ذكرا أم أنثى ،، فان الاشكالية الام التي يعانيها هي اشكالية الانسحاق والتشرذم تحت وطأة الامراض الاجتماعية التي لا يملك لها دفعا ولا ردا ،، ولذلك فهو عاجز ومفعول فيه الى حد أنه يتحول أحيانا الى أرضية خصبة تتنازعها الصراعات . وبمعنى آخر ، ان نوعيـة الابطـال التي أفرزتها الرواية العربية على هشاشتها وخوائها في فترة حاسمة ومصيرية لا يمكن أن تساهم في توعية الذهن العربي وتثوير العقلية العربية . فلماذا لا يكون أبطالنا فعلا ثائرين على طبيعة مجتمعاتنا التحريميـة الحنبليـة والتـي تعشش فيها وتفرخ أشكال مرضية مثل الوساطة والمحسوبية ؟؟ ولـمـاذا لـم تفرز نماذج من الابطال بعيدين كل البعد عن الانتكاسات وجو الفشـل لانه غالبا ما تكون مآسي الفشل والانحدار جزءا من الحرب النفسية الموجهه ضد القدرات العربية للتشكيك فيها وابطاء نموها ؟؟

كل تلك أسئلة لا تجد اجابتها الا اذا ما علمنا أننـا دومـا متأثـرون فـي مواقفنا وسلوكياتنا وآرائنا بالمفاهيم الكولونيالية المتروبولية التـي تحـاول أن ترسخ فينا شعورا بالدونية والخساسة والضعة .

---

(23) المصدر السابق

ولقد أفرزت هذه الثقافة المتروبولية أنماطا دعائية . قوامها اعتبار العربى حيوانا لا هم له سوى ارخاء العنان لغرائزه الملجومة وكبوتاته المطوية وسط مجتمع تحريمى حنبلى . ثم ان انحسار الاستعمار المباشر بشكله الاستيطانى التوسعي أعقبه تغلغل اقتصادى امبريالى واحتواء مركزى متروبولى ، قوى فينا الشعور بالتبعية dépendance والاحتواء ، وبالتالى مرر أطروحات عدوانية خطيرة وساهم فى عملية الاسترقاق الحضارى وتشويه الانسان العربى تشويها نفسيا خطيرا .

وفعلا ، فقد أورثنا هذا التشويه بؤسا على مستوى التقييم وقتامة فى التعامل ، ثم نظرة سوداوية للكون والوجود على كامل المستويات ...

ان عجز الرواية العربية عن افراز النموذج السوى والسليم يشير الى ظاهرة الخصاء الفكرى التى نعيشها والتى تجعل كامل ممارساتنا تنطبع بالدونية . وتحت وطأة هذا الاحساس يلوذ المفكر أول ما يلوذ بأساليب العجز والتذرع بعدم القدرة على العطاء والفعل ... ولذلك لا بد أن تتحول الرواية من ساحة الترسيخ لمفهوم المثاقفة acculturation الى بلورة تنهيج ثورى كامل وتفرز النموذج البديل لواقع الاحتواء والتبعية . ففى روايات نجيب محفوظ ثمة استرخاء للبطل وترهل فى علاقاته الاجتماعية تذكرك بمثال الاصم الذى ينادى فلا يجيب . فهو يخضع للتأثير الاجتماعى ، ولكنه لا يؤثر ، عديم الحركة والنشاط سلبى الموقف بل قل : انه محايد تخضعه الظروف والمتغيرات للتجربة لا غير .

اما اذا ما عدنا الى الرواية التونسية باعتبارها جزءا لا يتجزأ من الرواية العربية عموما ، فاننا نلاحظ على الاقل شيئين هامين لا سبيل لنكرانهما :

1) غياب الانتاج المكثف والعطاء المتواصل الامر الذى يسهل مهمة التقييم والفحص اضافة الى أن الكثافة تعطى فرصة لمتابعة التغييرات الشكلية والمضمونية بشكل أكثر دقة وشمولية ...

2) قصر عمر التجربة الروائية التونسية بحيث ان علاقتنا بهذا الفن الابداعى ما تزال غضة وطرية يصعب معها الاستيعاب السليم لخصوصيات ومواصفات هذا الفن . ولذلك فهذا الضرب من الابداع عندنا فى تونس لم يكتمل فيملامحه ورؤياته نظرا لحداثة عهد هذه التجربة من ناحية وقلة المتعاملين مع هذا الفن والقادرين على تعميق وتجذير الفن بمواصلة الابداعات من ناحية أخرى . الا أن ما يمكن ملاحظته فى هذا الشأن هو أن كل المحاولات الروائية

الاولية اتجهت أساسا الى استقطاب مختلف مراحل الكفاح التحريري وبسط ألوان المعاناة والضيم التي لقيها الشعب في سبيل الانعتاق والتحرر ... ويكفي أن نذكر أسماء معينة مثل : محمد العروسي المطوي ، وعبد الرحمان عمار ، ومحمد المختار جنات ، عبد القادر بلحاج نصر ، محمد الصالح الجابري الخ... حتى نتأكد من أن كل هذه الاسماء ترتبط أساسا بكتابات سياسية تهتم بالتاريخ القومي . أما الاشكالية الرئيسية المطروحة في كل هذه الابداعات الروائية فهي علاقة المثقف أي البرجوازي الصغير بالصراعات سواء السياسية أم الاجتماعية داخل مجتمعه ، اضافة الى هذه البساطة أو السذاجة العفوية داخل الاحداث حيث تبدأ باقتحام البطل الحياة السياسية والاجتماعية بعد حدوث استفاقة لديه ، وتكلل هذه المسيرة النضالية حسب فهم الروائي الخاص لكلمة نضال ، بانتصار البطل وانتصار قوى الخير على قوى الشر . هكذا بمنتهى السهولة ، وكأن القضية قضية سحر ، وصنع المعجزات والخوارق ، ومن ثم تأخذ الرواية طابع التعامل المثالي الاخلاقي المسطح وغير الواعي . وكل هذا لا يعني أنني أرفض فكرة الكتابة الروائية عن التاريخ القومي والمحلي ، بل أشجع على مثل هذه الكتابة خاصة اذا خرجت من بوتقة الفرد والاقلية المحركة للتاريخ لان النضال كان فعلا مسؤولية أجيال كاملة آمنت بضرورة الانعتاق .

وفي الجانب المقابل فان الكتابات الروائية الاخيرة حاولت التخلص من قبضة الحضور التاريخي والتركيز على بعض افرازات مجتمع جديد آخر مغاير للمجتمع الاستعماري يملك مميزاته الحضارية وقواه الاجتماعية والسياسية الخاصة حتى يستوعب الهموم اليومية المعاشة .

ولذلك فعمر التجربة الروائية التونسية على قصره تميز بانقسامه الى شطرين أو مرحلتين :

1) مرحلة التعلق بالتاريخ والماضي النضالي .

2) مرحلة البحث عن الذات وتحديد نوعية العلاقات الجديدة داخل مجتمع يتنامى حضاريا .

ولعل ما يمكن ملاحظته في هذا الميدان ، هو أن المحاولات الروائية خاصة من الاتجاه الثاني المشار اليه سابقا تتميز باتسام البطل بقلق وجودي وحضاري واضطراب عنيف يجعله يواجه تأزمات داخلية حادة مثلما يعيشه بطل « حسن نصر » في رواية « دهاليز الليل » : « صاح في البئر صيحة

مدوية كأنها تخرج من رحم الارض . وانطلقت فى فضاء البلدة تمزق سكون الفجر . صيحة لم تكن كنعيق البوم ولا كعواء الذئب ، انها صيحة انسان يسقط فى قرارة السكون » (ص : 139) .

ولا غرابة فى ذلك اذا ما أدركنا أن هذا القلق هو المميز الرئيسى لكل تحول يحدث فى فترة من الفترات حيث يصاحبه تحطم هياكل اجتماعية وفكرية وبروز أخرى معوضة لها ... أضف الى كل هذا أن أبطال هذه الروايات أناس ينضجون فى الخفاء بدون التفاف شعبى وكأنهم أقتطعوا اقتطاعا من احدى الاشجار ، أو قذفوا هكذا الى الوجود بدون غريزة الاحتكاك البشرى أو التعاطف مع الآخرين . وحتى لو افترضنا تغييرا حياتيا أو نفسيا فى ممارسة البطل ، فان ذلك لا يكون مؤثرا بدرجة محسوسة وفعالة فى العمل الروائى . وفى اعتقادى أن الرواية التونسية فى عمومها لم تستطع تجاوز الدائرية المضمونية حيث ان البطل يبتدىء سلبيا محطما نفسيا مهزوما لينتهى ثائرا يريد التغيير ويريد العمل والبناء . هكذا تتم الامور بمنتهى السهولة والعفوية !! والغريب فى الامر أن كل المسيرات النضالية التى تحدثت عنها الروايات التونسية كان مآلها النصر والنجاح ، وكأن القضية تخضع لقانون ميكانيكى وحتمية تاريخية لا مفر منها . فالبطل الذى يبقى فوقيا ،، رمانسيا فى رؤيويته حتى وان انتصر لا يمكن أن يعتبر هذا انصارا بحكم عجزه عن خلق التفاف شعبى حوله .

ولعل بعض روايات محمد العروسى المطوى ومحمد المختار جنات حاولت أن تعبر عن نضالات شبابية واعية وتصور عمق المعاناة الشعبية ، الا أن هذا الكفاح ضد المستعمر بقى مجرد عمل النخبة أى هذه الطليعة من الشباب الواعى ... بقى أن أسجل شيئا أعتبره هاما وهو ان الايديولوجيا التى يحملها الابطال عبر الكتابات الروائية المشار اليها أيديولجيا تتميز ببساطتها واستنتاجها من الوعى الشعبى رغم رغبتها فى التجاوز والتغيير ... ولا أدل على ذلك من أنك تجدهم يحملون نفس الرؤيات والقناعات التى يحملها عموم الشعب مثل الايمان بانتصار قوى الحق على قوى الشر ، والقناعة الحياتية والوجودية . والمهم هنا هو أن الابطال لا ينتمون الى أية اسقاطات خارجية سياسية وأيديولجية ، ولم تفرز الرواية التونسية عبر كامل الحقبة التاريخية التى تواجدت فيها مثالا لبطل ينتمى الى تنظيم سياسى وتأطير حركى وايديولوجى معين ، بل ان المحرك للعمل الثورى هو مجرد قناعات اجتماعية معينة . وفى رأيى أن الحكم الاخير حول الرواية التونسية لا يمكن أن نصدره

وهى لم تكتمل بعد وما تزال فى مرحلة التنامى والتكون الرئيسيين ، لان الامتداد على مستوى فترة زمنية معينة له أهميته الخاصة فى دفع وانضاج العطاء الروائى .

ولئن كان تحليلنا وتتبعنا للرواية العربية ودور البطل اليسارى فيهما تتبعا بانوراميا اجماليا ، فانه كشف عن فهم مشوه ومحنط لليسار والاشتراكية حيث لم تكتمل بعد المفاهيم السياسية فى الاذهان العربية ، وما زالت فعلا كلمة اليسار كلمة تدل على الالحاد والكفر ،، أضف الى هذا ضبابية المفاهيم واختلافها المطلق ، فمن يحى حقى ونجيب محفوظ ومحمد ديب وعبد الامير معله وجبرا ابراهيم جبرا تتناقض المفاهيم والاطروحات والسير ابتداء « باسماعيل » البرجوازى الصغير المثقف الذى يحمل ثقافة متروبولية كولونيالية وانتهاء بحميد السراج ،، المتشبع بالنظريات الماركسية والكتابات الاشتراكية ،، ومع ذلك فان الاول والثانى يعدان فى زمر الثوريين .

ولو قارنا بطل « رواية الام » لماكسيم غوركى المختزن فى عروقه الرفض الى حد الانفجار حتى لا ينضب له معين ،، ثم هو ينطلق من هذه الطاقة الرفضية ليغير ويعمل ،، أما البطل عندنا فرغم كل الصدمات والصفعات التى يوجهها له المجتمع يظل باردا عاجزا عن الحركة ورد العمليات الاذلالية والقهرية وفعلا فلقد تبين أن مفهوم البطل اليسارى مفهوم غامض وأكاد أقول: دخيلا على الثقافة العربية رغم اننى لا أنكر بوادر طلائعية لتبنى الفكر اليسارى فى الوطن العربى خاصة عند جيل نكسة حزيران 1967 الذى تعلم النقد الذاتى واستيعاب السلبيات لصالحه ،، وتحويلها الى استنارات فكرية تضىء الطريق .

ان طرح قضية الرواية الثورية فى الوطن العربى لا يمكن استيعابه بمعزل عن قضية الثقافة العربية ككل والتى ما زالت تشهد فى جوانب عدة منها مدا غيبيا ظلاميا obscurantisi ثم تحليلا ماضويا سلفيا قوامه تحنيط الفكر والدخول فى متاهات دوغماتية لا طائل من ورائها .

ومن ثم كان لزاما تحويل الاطروحات المضمونية للرواية العربية من سيطرة التيار الماضوى السلفى الى دنيا الفكر الثورى ، ورحابة الانتاج الانسانى المتأصل، ولذلك قلت ان رواية « الايام الطويلة » يمكن اعتبارها تجديدا خاصة من الناحية المضمونية لانها أسقطت كل قيمة واعتبرت الانسان الواعى فعلا هو الذى يؤمن بقيمة الكفاح الجماعى ويشارك فى بلورته وتقريب ساعة الخلاص .

وبما أننا الآن نجتاز مرحلة الصراع وتأكيد الذات والخروج من أغلفة السبات والنوم ، فانه يتوجب على الرواية باعتبارها أقرب الادوات الى الاذهان العربية أن تكون منبرا دعائيا للخروج من قمقم الاقليمية والقزمية وبالتالى قولبة الاجيال العربية مع طبيعة الحياة ونواميس المتغيرات الدولية وترسيخ المفاهيم القومية فى الاذهان حتى ينحسر التقوقع المرضى. هذا قوميا ، أما محليا فان للرواية مهمة النقد الصريح للاعوجاج والالتواءات حسب الاساليب الاداتية والفنية لها .

وفى رأيى أن عملية تسييس الرواية وحتى الادب ككل أمر مفروغ منه نظرا أولا : للمهمة النقدية التى تضطلع بها الرواية ثم ثانيا : بحكم الترابط الجوهرى بين ما هو اجتماعى وسياسى .

ان تحييد الرواية هو سعى متعمد الى افراغها من كل مضمون تقدمى ، وبالتالى جعلها نهبا لكل الاتجاهات السياسية والايديولوجيات المغرضة. فكلمة التسييس تحدد الخط العمومى والتقدمى الذى من خلاله تتحرك الرواية وتتنامى . ولا يمكن اعتبار السياسة احتواء للرواية وقتلا لها ، لانها عنصر من عناصر الاثراء الاساسى لمضامينها .

وعلى كل فان الرواية العربية استطاعت أن تتواجد على الساحة الفكرية وتقول كلمة الرفض للاعوجاج والتعفن ، وفى ذلك مؤشر خير ، وأول الغيث قطرات .

(بجاوة 2 — 4 / 11 / 1979)

تقرؤون فى الاعداد القادمة

دراسة : **محمد العياشى** .... رسالة الأصل والتحول

تعبير : **التهامى الهانى** .... حكايات من مناجم الحزن العربى

قصة : **أحمد الحمرونى** .... حديث الشك

شعر : **محمد على الهانى** .... حوار الى دائرة الاخضرار

قصة : **الناصر التومى** .... كل شىء يشهق

شعر : **الصادق شرف** .... ثلاثون ضحكة ..!

الصّمت والغربة ..

قصة : يوسف سلامه

لن أبدأ معكم بيحكى أنه ..

لن أقول لكم كان يا ما كان فى قديم الزمان ، وسالف العصر والاوان، أن شابا فقير الحال ، يعمل من شروقها الى غروبها راعيا ، يرعى أغنام سيده ، يعيش الخصاصة ، يقتنى القليل ، يمنى نفسه بالكثير . وفى ليلة باردة ، كتلك الليالى التى نشهدها هنا . لم يلعب بالطين ، لم يبن القصور ، بل تمنى لو يصادف «عنز قيسون» (*) مرة في حياته. أو يعثر على مفتاح البيت السابع، فى ليلة قمرية ، بينما تكون أصابعه تنبش التراب . ألم تقل أمك «خديجة» : إن المفتاح فى حوزة جنى خرج من تحت الارض . طار بعيدا . وقد يكون ألقى بالمفتاح فى أرض خالية ، لا طائر فيها يطير ، ولا سائر يسير ..

فكر .. الامور تتجاوزه . لذلك عزف عن كل ذلك ..

هده التعب .

جمع بعض القطع الخشبية . طاف بين المقاهى . جالت عيناه تحت الكراسى. والتقط بعض سدادات قوارير المشروبات ، جعلها عجلات لعربته التى شكلها بتلك القطع الخشبية . صعد العربة ، التى انطلقت بسرعة مذهلة . تجول فى شوارع البلدة ، اخترق أنهجا وأزقة لم يكن يخطر بباله أنه سيزورها يوما . وربما حدود معرفته ببعضها تجعله لا يعتقد فى وجود غيرها . لكن ها هى الدنيا تتفتح فى عينيه : وها هى المدينة التى لم يكن يتصورها هكذا ، كما يشاهدها الآن ، تفتح له صدرها ، وتستقبله كاحسن ما يكون : العربات تمرق من جنبيه

(*) «عنز قيسون » قصة للاطفال ، تروى أنه فى عهد من العهود ، كانت هناك عنز كلما اسمعها صاحبها نغمات مزماره تساقط اللؤلؤ والدر من عينيها..

فى سرعة مذهلة ، فتكاد تدهس هذا او ذاك . شاحنات شخير محركاتها قد فاق سرعتها الطبيعية ، تصم الآذان . فتقرقع الدنيا وتزلزلها ، أناس يمرون دون أن يعيروا ما يحدث من حولهم أى اهتمام . وها هو يمرق من هذا النهج .. و..

كم تمنى لو يخترقه مرة فى حياته ..

يذكر أنه أقر العزم يوما على اجتياز حدود الحومة ، التى لا يعرف غيرها .

لا أذكر ان كنت قد وصلت الى تنفيذ ما عقدت العزم عليه ، أم لا ، أو ان كنت قد اقتربت من ذلك . أذكر أن العصا ألهبت مؤخرتى ، واحمرت عيناى من كثرة الدموع . وسال مخاطى . قرأت والدتى فى عينى ، يدا تمتد ، تستعطفها ، تتوسل اليها ، ترجوها أن تتدخل . عندما حاولت ، كادت أن تنال ما نالنى، فجاست ترضع أخى الصغير مغلوبة على أمرها، وحزن في عينيها لا يفارقنى . ولم يكن والدى شرسا الى الحد الذى تتصورونه ، فلا أستطيع الهروب خارج البيت ، فى غفلة منه .

قبل أن أمرق الى النهج المجانب لحومتنا ، سألنى أخى الصغير أين أذهب ؟ قلت : ألاحق « عنز قيسون » .. وأعرف ما معنى أن أخبره بذلك . أى أن اكون على موعد مع عصا والدى ، عند المساء . كنت لا أفلت من ذلك الا اذا صاحبنى أخى الصغير فى تنفيذ مشروع ما . ودوره دائما أن يخبرنى اذا كان والدى قد علم بشىء من أمرى، فينبهنى الى ذلك . وحتى اذا علم والدى بذلك ، كان يتدخل لفائدتى . كان يتمتع بحظوة كبيرة ، مرة سألنى ، ان كنت سأبقى طول العمر أطارد هذه العنز ؟! تساءلت بدورى ان كان والدى هو الآخر يطارد « عنزه » ؟!..

لا أدرى بالضبط ان كنت فعلا ألاحق هذه العنز، أم أنها مجرد فكرة عابرة. تمرق ثم تغيب . أكثر من ذلك ، ليس الآن فقط ، على أننى أطارد هذه العنز الشاردة . تحصد اعشابى . فألاحقها ..

لم أشأ أن أحدثه أكثر ، فلقد حدثته عن هذه العنز طويلا . وكلما جلست معه على عتبة باب بيتنا (والحقيقة أن والدتى تأمرنا بذلك . حتى تتخلص من مشاكساتنا .. وبالليل نلتف حولها ، فتقص علينا مغامرة جديدة من مغامرات « عنز قيسون » . وننهال فى تلهف نلتقط اللؤلؤ يتساقط ..) نرقب البغال والبهائم وقطعان العنز وهى تركض نحو حنفية الماء . كنا نتراها حول أشياء

كثيرة . ربما لو سألته ، لكان مثلي هو الآخر ، لا يذكرها ، فتفلت من رأسه ، كما كانت تفلت العنز الشاردة ، واللؤلؤ يتساقط .. أمور لم نكن نعدها من قبل ، ولم نكن نهتم بها كثيرا .. كما يحدث اليوم ..

كان لابد أن أمر بالعديد من المنعرجات . عند كل واحدة منها ، يتصبب عرق ساخن من جبيني . يبعث في حرارة خانقة . كنت قد نسيت أن أجعل للعربة منبها ، وتفطنت الى أن الفرامل لم تكن مركبة على قاعدة .. وأنسى في كل مرة ، أن أحمل معي مزماري ، وألاحق هذه العنز . كانت تعشق رنة المزمار . وكنت أعشق الاستماع للؤلؤ يتساقط في أذني .. لذلك ، وبالرغم من تجنبي للعديد من المنعرجات ، كانت هناك البعض منها التي لا مفر من اجتيازها . وفي كل مرة ، أحمد الله على السلامة .. كل ما كنت أتجنبه ، أن أعود للبيت مخدوشا في وجهي او مجروحا في ركبتي . لو حدث ذلك ، فانني سأجد نفسي مدفوعا لتلفيق بعض الحكايات . أو في طلب النجدة من أخي الصغير ، فهو يتمتع بحظوة كبيرة . لكنه لا يقبل الا بشروط ..

هذه المرة ، وكعادتي التفاؤلية دائما ، أقول بأنه آن لي أن أتحدث عن مغامراتي .. قبل ذلك أعانق والدي ، وفي حرارة صدره ودفئه استوحي تمردي، وتكف ركبتاي عن الاضطراب ساعة المواجهة . كنت اتصورها حاسمة ، ولعلها كذلك ..

ما من شك أنه كان ينتظر هاته اللحظة . لحظة ان يهرب الطفل في اتجاه ابيه . يجثو عند قدميه . فيرفعه ، يضمه بين ذراعيه ، يطبع على جبينه قبلة حارة .. لكنه يفر من بين ذراعيه ..

هذه المرة ، سأحدث اخوتي بمغامراتي. سأرويها لهم بصوت عال. والغرض من ذلك ، ليس مجرد روايتها لهم ، بل ترك والدي يتنبه الى حكايتي . فينتشي لذلك . ويمنحني ثقته ، وهي خطوة في تحسين العلاقات . و ...

وليس ذلك فقط ، بل من حقه الآن ، أن يسعد ، ويثبت للحساد والناقمين بأنه أصبح « رجلا » وله معرفة ثاقبة بأسرار الدنيا والناس ..

ترك العربة تسير في بطء حتى تخالها ستتوقف بين الفينة والاخرى . ارتفعت من خلفه صيحات سائقي الشاحنات والعربات ، تحمل أنواعا متعددة من الخضر ، او خليطا من الركاب كل يعيش داخل كوكبه . يرسم او يجتهد في صنع عالمه الخاص به .. بل لعل كل واحد من هؤلاء يطارد « عنزه » .. ويحلم ..

نظرات أحدهم تطاردني ، أو كأنها تشد خناقي ، تسحبني تحت عجلات الشاحنة ستدهسني . . حاولت أن أمسك بشيء ثابت علني أنجو . عربتي تنزلق فوق الطريق . كدت أصرخ ، بل ربما صرخت . حتما كنت في لحظة ضعف قصوى لكني واجهت كل من حولي بنظرات حادة . أردتها كذلك . ولكنها نظرات شاحبة مدقوقة في وجه أكثر شحوبا . أخرجت لساني وقطبت جبيني، أحاول أن أرسم وجه صاحب النظرات.. « مو.. مو.. مو » ضحك . وشاهدتهم يشاركونه الضحك ما ان شاهدوا وجهي على هذا الشكل ..

فهم صيحاتهم على أنها احتجاج صارخ على سبب وجـوده بينهم . ابتسم . وواصل طريقه . ترك عربته تعرج قليلا الى اليمين فاسحا لهم الطريق . فكر قبل ذلك في مشاكستهم ، وعدم الخروج جهة اليمين . لكنه عزف عن ذلك . التفت يمينا ثم يسارا . رحلت عيناه . تجول بين دكاكين تصطف على جانبي الطريق . طابور طويل يمتد من اقصى النهج لينتهي عند احد الدكاكين فزحام فشتائم ، فروائح الاتربة والعرق تنبعث . ويد تخرج عن الصف ، تلتقـط شيئا ملفوفا ، وتغيب .. وهذه مقهى عم « المكي » ، تنتصب في قلب النهـج ، وقد بعثرت الكراسي هنا وهناك تحتل مساحة تفوق المساحة المرخص لها باستغلالها . وهذا صاحبها ، يجلس في احدى الاركان يلاعب جمعا من الرواد أتوا خصيصا للتباري معه . فيتناوبون في ذلك . وهذا الحاج حمودة يطوف بين الكراسي ، يجمع التبرعات لانجاز مشروع ما . وهذا انت يا أبي تضـع ساقا على ساق ، ويداك لا تتوقفان عن فتل الحبال . في الطرف الآخر ، يجلس أحد الغرباء عن البلد ، حركاته وتصرفاته تشير وتثبت ذلك . يتفـرس في الوجوه يتابع تحركات رواد المقهى ، ويتتبع أحاديثهم .

في نفس اللحظة ، يهزهم دوي هائل ، وقرقعة اصطدام ، وشاحنة تدهسني تقذف بي الى الجانب الآخر من النهج . حيث هرع كل من كان بالمقهى . شكلوا حولي حلقة ، سرعان ما اضمحلت ، ما ان قدم الشرطي .

لكن حركة المرور قد توقفت ، فارتفعت منبهات العربـات في احتجاجهـا ، بينما كان ذلك الغريب يعاين الحادث ، ويسأل ، وينادي كلا باسمه (استغربت معرفته الجيدة والدقيقة لكل أهل البلد..) يسألهم، يعيد السؤال.سمعت أحدهم يستنجد برسول الله . آخر يلعن . وهذا الملتف في برنسه وقد قدم لتوه ، راح يسأل ويستفسر الامر ويلح في ذلك . (كدت أنهض من بركـة الـدم ، واجمع بقايا جسدي المتناثرة ماسكا بخناقه حتى لا يعود الى الحاحه) وشاهدتهم يرشونك بالماء ، وقد أغمي عليك ما ان تيقنت أن المصاب هو أنا .. ابنك ..

ساعتها ، خرجت روحي ، طارت بعيدا . حطت على احد الاسلاك الكهربائية تراقب ما يحدث ..

لم يمض وقت طويل ، حتى عادت الامور الى ما كانت عليه . ودخـل كـل كوكبه . يتدرع بالصمت ..

بين الحين والحين ، يجيل ببصره في الوجوه المتلبدة ، المتـراصة حوله . يجلس على كرسيه الخشبي . يضع ساقا على ساق . تلك هي عادته من سنين . اصابعه تعبث بحبات سبحته . يجابهه الصمت والاهمال واللامبالات ، لكل ما قاله . ليس الآن فقط ، بل ربما من سنين طويلة ، وهو يلحظ هذا . لكن الليلة ربما كان هذا الاهمال المتعمد مثيرا للغاية.بصورة تبعث على القرف والامتعاض.

تيقن أنهم اكبر سنا من حكاياته ..

يوسف سلامه

في الاعـداد القـادمة تقـرؤون

مطالعات

ملاحظات حول البنية القصصية في المدلول الاجتماعي

بقلم : محمد خريف

1 - التقديم المادى :

قصة « قبور فى الماء » هى قصة من تاليف الاديب « محمد زفزاف » صادرة عن الدار العربية للكتاب - تونس ليبيا - سنة ثمان وسبعين وتسعمائة والف تقع فى مائة صفحة من الحجم المتوسط .

2 - تلخيص القصة :

تصور القصة مشاغل بلدة ساحلية تدعى « المهدية » تعانى الطبقة الضعيفة فيها الامرين نتيجة الفقر وعدم الاطمئنان على مصير البحارة الذين انقطعت أخبارهم منذ ما يقرب عن عشرة ايام كاملة .

لقد طال انتظار الآباء والامهات والزوجات لكن بدون جدوى فلقد بلغهم فى النهاية نعى النوتية . وتنتهى القصة بوليمة أقامها العياشى صاحب المركب على شرف الاهالى انستهم فى ذويهم المفقودين وادخلتهم فى نشوة منقطعة النظير .

3 - الاطر :

يتجلى فى هذه القصة اطاران بارزان هما اطارا الزمان والمكان .

أ - الاطار الزماني : زمن القصة يحمل على الماضى المطلق تعبر عنه أفعال اما فى صيغة الماضى أو المضارع الذى يؤتى به قصد الوصف والاشارة الى تطور الاحداث نسبيا فى نطاق اطار زمانى عام هو الماضى مثلما تبينه سلسلة الجمل التالية (يدس قدميه فى الماء - تراجع فى قراره - يمشى بعيدا) ان الافعال

الثلاثة الواردة (يدس - تراجع - يمشي) تمثل ثلاث حالات عاشها الطفل كلها وقعت في الماضي غير انها تختلف فيما بينها من حيث تطور الحركة فالفعل الاول جاءفي صيغة المضارع يدل على حالة الشروع في حركة لم تنته بعد والفعل الثاني جاء في الماضي يدل على حالة تمت فيها الحركة والفعل الثالث يدل على الاستمرار في القيام بالحركة او استئناف العمل اعتبارا للفعل الثاني .

ب - الاطار المكاني :

يحمل المكان الرئيسي على بلدة ساحلية تسمى « المهدية » تحدد بشاطئها وبمرفئها وبمرتفعاتها ومبانيها على أن هذا المكان يكاد يحتضن كل أحداث القصة فالتطور فيه لا يتعدى مساحة تطور الاحداث ولا يتجاوز رقعة الارض التي تكتنف مشاغل الناس الموجودين على أديمها .

4 - الاشخـــاص :

تمثل الشخصيات في هذه القصة نماذج مختلفة فهي تنقسم الى راو واشخاص ينقسمون بدورهم الى أشخاص رئيسيين واشخاص ثانويين ثم الى أشخاص « حشويين » او « هامشيين » .

أ - الراوي :

يكاد يكون الراوي هو الشخصية المهينمة فهو الذي ينقل الاطار والاشخاص بصفة تقريرية يقل فيها الحوار ويطغى عنصر السرد ثم يرسم هيئاتهم وملامحهم فهو يقول مثلا في بداية القصة : « انزلقت قدم علال فوق التراب الجاف - ثم أوقفتها نباتات أو جذور نباتات متمكنة من الارض وتنفس بملء صدره» ، ثم هو الذي يستبطنهم قائلا : « ظل العيساوي صامتا .. ونظر بعينين يملؤهما القهر الى البحر المنبسط باستلام خادع » ، فالراوي في هذه القصة لا يكتفي بالنقل المجرد للاحداث والوقائع وانما يقوم في نفس الوقت بعملتي استقراء واستبطان اشخاص القصة ويظهر ذلك في ادعاء الراوي معرفة الحالة النفسية للرجلين اللذين يقول فيهما : « وبقي الرجلان لحظات صامتين لا يفكران كأن هناك جمود باطني » ، ان الراوي في هذه القصة يمثل «همزة وصل بين القارىء وكل عنصر من عناصر القصة فهو منظار يتلون بتلون اعمال الاشخاص وسكناتهم وهذا ما يجعل القارىء لا يتحاور في الغالب

مباشرة مع احداث القصة وانما يتبع منحى رسمه لـه الراوى الـذى يرتبط بالشخصيات الاخرى ارتباطات متباينة كارتباطات المعاشرة والمفارقة ثم يقف فى النهاية موقفا سلبيا لا يعدو موقف المتفرج الذى التـزم مـوقف الحيـاد والانسياق فى خضم عقلية القوم المستضعفين المستسلمين لمشيئـة القضـاء والقـــدر ؟

ب ـ الاشخاص الرئيسيون :

هؤلاء الاشخاص يمثلهم العيساوى وعلال والام فهـم يتصدرون الاحـداث ويمثلون الشرارة الاولى لانطلاقة القصة بواسطة حوار دار بيـن العيسـاوى وعلال يستخلص من خلاله موضوع القصة اذ يقول علال : « غير ممكن عشرة أيام هذا شيء مستحيل » ويجيبه العيساوى بطريقة غير مباشرة عن طريـق القاء الأسئلة « ألا تذكر مركب دحمان ألم تأتنا أخبار غرقه ؟ » فمن أول وهلة يضعنا الحوار امام أمر هام يتعلق باحتمال حصول غرق مركب بدأت بـوادر الانشغال به على مستوى أقارب البحارين . كما يلاحظ فى شأن الاشخاص الرئيسيين انهم يختلفون عن سائر الاشخاص الرئيسيين فى القصص العادية الأخرى فهم لا يخضعون فى عملهم الى منطق تطور الاحـداث وانما يظهـرون ويختفون واختفاؤهم يطول أحيانا الى درجة ان القارىء يشعر احيانا بانقطاع الصلة بينهم وبين المسار العام للقصة فيعوضهم فى الغالب أشخاص ثانويون او حشويون مما يجعل وظيفتهم تنصرف عن الدور الرئيسى فى القصة وهو دور الابطال .

ج ـ الاشخاص الثانويون :

من الاشخاص الرئيسيين من كان حضوره ثانويا غير مباشر اما عن طريق الراوى او عن طريق الاشخاص الرئيسيين مثل شخصيتى الطفل والعياشى. فالعياشى يقول فيه العيساوى : « وماذا تعتقد انه سوف يجيء لكى يطمئن على مركبه فاذا ضاع ثالث مركب يضيع له لان العياشى رجـل غنى وهو ليس فى حاجة الى مركب وهو يستطيع ان يعيش سواء أضاع المركب او لم يضع » فمثل هذا القول يكشف عن شخصية العياشى ذلك الرجل الثرى الذى لا يفكر الا فى مصلحته ومن هنا توضع أمام القارىء عدة اسئلة تحـدد علاقة هذه الشخصية بمن حولها فهى وان كان حضورها حضورا ثانويا فهى شخصية محورية بالدرجة الاولى من حيث اشتغال أهالى البلدة بها فهى تمثل مركز الاهتمام تحوم حولها كل معانى الاستغلال والمكر والاسراف فى البذخ والوان الترف ولذلك يقول فيه العيساوى : «ان له سيارات وفيلا تفى المدينة

ويرتدى كل يوم أثوابا جديدة» ان هذه الوضعية المادية ليست فى نظر العامة الذين يمثلهم عزوز وبالعربى وبقية الرجال ناتجة عن استغلال البحارين وانما هو نتيجة لامور ماورائية لا يمكن تفسيرها الا بالعودة الى القضاء والقدر » .

د ــ الاشخاص الحشويون :

الى جانب الاشخاص الرئيسيين والثانويين هناك أشخاص حشويــون او هامشيون يساهمون فى اضفاء شىء من الجمالية على حياة البلــدة الساحليــة وتجسيم العقلية السائدة ومن بين هؤلاء نذكر على سبيل المثــال الحسنــاوى وعيوشة والمعطى والقهواجى والدرقاوى وابراهيم المؤذن وابراهيــم التاجــر والمعلم بيوض واخيرا الاطفال فهؤلاء جميعا يتصفون فى سلوكهــم بصفــات التقنع والاكتفاء بالقليل ويتميزون بسطحية الرؤية والخنوع ٠

5 ــ البعد الاجتماعى للقصة :

للقصة بعد اجتماعى بين يدل على تناقض يشمل جميع مستويات الحياة في البلدة فهو ينم عن عقلية مكبلة بالجهل والتخلف وهذا ما جعل اصحاب هذه العقلية يسلمون فى ذويهم مقابل لقمة سائغة يمن بها عليهم رجل يغريهم ويذر فى عيونهم الرماد ٠

6 ــ ملاحظات نقديــة عامــة :

أ ــ الاشخاص : ان الذى يلاحظ فى أشخاص القصة وخاصــة الرئيسيين منهم انهم لا يخضعون فى حضور هو سواء على مستوى الاعمال او مستــوى الاقوال لتدرج منطقى مما يجعل سير الاحداث غير واضح العلاقة الرابطة بين وظيفة الاشخاص وعناصر القصة من اطر زمانية ومكانية ومن عقدة وخاتمــة فالبطل مثلا لا نكاد نميزه من بين الجمع الغفير اذ هو شىء ضبــابى نلمحــه أحيانا بين مجموعة من الافراد جمعتهم رقعة أرض واحدة تأففوا وتواعدوا لكن انتهى بهم المطاف الى قبول الامر المقضى والاستجابة للواقع الذى فرضه عليهم العياشى صاحب المركب فاكتفوا بزردة رخيصة بعدما كانوا يطالبون بالــدية وهكذا استجاب اشخاص القصة لنداء البطون وتغافلوا عن المطالبة بحقوقهم ٠

ب ــ اللغة والاسلوب :

ان الذى يلاحظ بالنسبة للبناء القصصى العام غياب عنصر التشويق مما يجعل القارىء يحس بجفاف فى الاسلوب القصصى يبعث على السآمة وبذل المجهود فى الانتقال من صفحة الى أخرى . كما ان القصة تكاد تخلو من ركائزها الاساسية وهى العقدة . فلم أتحسس من أول القصة ذلك الخيط الخفى الذى يسير بالقارىء تدريجيا نحو التأزم ثم ينحدر نحو الانفراج وهذا ما دفع الكاتب حسب رأيي الى حشر الخاتمة حشرا ينبىء فى شىء من التجاوز بالقطيعة بين تلك الخاتمة والبناء العام للقصة . كما ان الكاتب حاول على مستوى اللغة مزج الفصحى بالعامية مزجا يبقى محل نظر . فقد استعمل مثلا بعض الالفاظ والعبارات يسميها البعض بالحوشية لا ندرى القصد منها هل ان الاتيان بها يدخل فى باب مزج الجد بالهزل وتفادى ما نقص من عناصر التشويق أم أنها رغبة من الكاتب فى نقل التراث الشعبى الذى تغافلت الكتب المحافظة عنه ؟ أم أنه تقليد لبعض الكتاب المعاصرين الذين استعملوا مثل تلك الالفاظ فى مكانها المناسب .

ج ــ كلمة أخيرة :

ومهما يكن من أمر فان هذه الملاحظات لم تكن سوى استنتاجات شخصية جاءت نتيجة قراءة أولى لقصة تبدو ذات مدلول اجتماعى هادف تنتظر قراءات أخرى .

محمد خريف

ندوة القراء

حول ترقية الكتابة العربية

بقلم : أحمد الأخضر غزال

من أحمد الاخضر غزال مدير معهد الدراسات والابحاث للتعريب

إلى حضرة الأخ الكريم البشير بن سلامة
رئيس تحرير مجلة الفكر

تحية أخوية خالصة

أما بعد ، لقد وصلني العدد الرابع من مجلة الفكر الغراء لهذه السنة 1980 مصحوبا بكلمتكم الطيبة التي هنأتموني فيها بالعام الجديد وأخبرتموني بتحريركم مقالة في هذا العدد عالجتم فيها موضوع الكتابة العربية وأبديتم استعدادكم لتلقي نقدي لما كتبتموه وعبرتم عن رغبتكم في التزود بالجديد في هذا المجال .

وإذ أهنئكم بدوري بالعام الجديد متمنيا لكم ولأسرة مجلة الفكر المزيد من التوفيق والنجاح أرجوكم أن تكونوا على يقين أن ما كتبتموه في قضية الكتابة العربية لفي صلب موضوع النهضة اللغوية في العالم العربي والمحاولات الجبارة التي نقوم بها جميعا لجعل لغتنا لغة تقنيائية (تكنولوجية) استمهادا لتعريب العلوم والتقنيات تعريبا أصيلا لا مهينا مهلهلا . واذا كان الاصلاح الخطاطي (أي تقنية ضبط الحروف الطباعية) يشكل السكة الاولى فان الاصطلاحياء (أي علم المصطلحات) لتشكل السكة الثانية لقطارنا الثقافي المعاصر الذي يتعثر في سيره بسبب رداءة سكتيه هاتين والاعطاب الكثيرة التي تصيبهما فنرى قاطرته تلهث مدبرة عجلاتها في مكانها لا تستطيع الجر . كذلك هي عزائمنا وتحمساتنا ، فانها تلهث ولا تجر شيئا . وقد حللتم تحليلا دقيقا حالة القارىء العربي أمام الكتابة الموسومة بـ Scriptio defectiva والتي

سميتموها بالكتابة المنقوصة في مقابل Scriptio plena اى الكتابة المشكولة ونبهتم بشجاعة الى أنها لن تكون ـ اذا بقيت على حالتهـا الـراهنة ـ « أداة ثقافة حقيقية أى أداة تفكير دقيق مميز ووسيلة تكوين عصرى نابه ذكـى لا يكون عرضة للتعصب والانغلاق والتحجر والنظر القصير السطحى » وهذا ما دفعني الى الانكباب على دراسة اصلاح الطباعة العربية منذ سنـة 1940 تلـك السنة التى ألقيت أثناءها دروسى الاولى فى تعليم اللغتين الفرنسية والعربية فلاحظت ان تلامذتى بعد انهـاء البـرامج المقـررة ينقسمون الى قسمين قسم يستطيع قراءة الكتب والجرائد الفرنسية وفهمها ، وقسم لا يستطيـع قـراءة الكتب والجرائد العربية ويعجزون عن فهمها ، فتبين لى بوضوح أن « شيئا » هناك يمنع تعليم القراءة العربية من أن تكون مثل تعليم القراءة الفرنسية وأن هذا « الشىء » لا علاقة له بالكتابة اليدوية التى تستطيع أن تـرسم جميـع الحروف وجميع الحركات وجميع العلامات الاملائية ، موفرة بذلك قراءة واضحة تامة لا مثيل لها فى معظم اللغات الاجنبية ، كما تبين لى من جهة أخرى أن هذه الكتابة اليدوية تختلف من شخص الى آخر وتعدد أشكال الحروف وتراكيبهـا وتطمس بعضها وتطيل وتقصر ، وفى غالب الاحيان لا توضح الصورة الاصلية لكل حرف ، خاضعة فى كل هذا الى قوانين حركات اليد التى بدورها تخضع لنوعية الادوات الكتابية من قلم وكاغـد ومـداد كما تخضـع لمـزاج الكـاتب ونفسيائه (بسيكولوجيته) مما أدى الى إنشاء الخطاطين (كرافولوجيا) أى الى علم كشف نفسية الاشخاص من خلال كيفية خطهم للحروف .

فتأملت مليا حروف طباعتنا فى المطبوعات المختلفة فوجـدت أنها حـروف استخلصت وقطت انطلاقا من كتابات فنية (أرتيستيك) جميلة ، ضبطهـا وأحكم تخطيها الفرس والاتراك خاصة ، الا أنها كتابة يدوية أيضا تخضـع ، بالاضافة الى ما تخضع له الكتابة اليدوية الشخصيـة السـابقة الذكـر ، الى قوانين الفن والتفنن ومراعاة الجمالية متوخية بـذلك إثـارة الشعـور ، فأدى تطويرها فى هذا المجال الى الزخرفة والتوريق (آرابيسك) فاستخلصت من هذه الملاحظات أن الكتابة ثلاثة أنواع نوعان يدويان : الاول شخصى والثانى فنى ، ونوع طباعى علمت فيما بعد أنه يسمى « الكتابة الطباعية » تخضع فى عملية كتب الحروف لا لليد والقلم ولكن لما أسميه بالمحـارف (كاراكتير) أى قطع فازية تثبت عليها صور الحروف مسبوكة جامدة لا تتغير وتلك المحارف هى التى تحل محل اليد والقلم أى هى التى « تكتب » ومعنى هـذا أن هنـاك عددا من المحارف يجب أن يحدد بالنسبة الى الاماكن المخصصة للمحارف فى مختلف الآلات الطابعة وكذلك بالنسبة الى العلامات الضرورية لتوفير قـراءة

تامة من حروف وحركات وعلامات الشكل والوقف والارقام أى بالنسبة الى ما يسمى « البوليسة » والتى أفضل تسميتها بكلمة « النسقة » ومعنى هذا أنه وجب تحديد الحدين الادنى والاقصى للمحارف الطباعية العربية على أساس الاصوات الضرورية والاشكال اللازمة وذلك مع مراعاة الحفاظ على كتابتنا المعهودة وسد حاجات تقنياء الآلات المستحدثة الصارمة المضايقات والمقاييس فأدى بنا هذا الى ضبط الطريقة المعيارية ذات الشفرة العربية الموحدة (عمم ـ شع) التى تفضلتم مشكورين بالتحدث عنها فى مقالتكم النفيسة للتعريف بها فى موضوع ما جد فى إصلاح الطباعة العربية وختمتم قائلين : « إننى آمل أن تكون هذه الخطى أكثر سرعة فى ميدان اعتبره مصيريا » .

وإذ أعبر لكم هنا عن تقديرى واعجابى لاهتمامكم بهذا الموضوع الذى نعتتموه بموضوع مصيرى ، إلا أننى أصارحكم أن هذه الخطى لن تكون أكثر سرعة لأسباب خمسة : أولها عدم اليقظة والتفطن والتوعى لأهمية الموضوع بالنسبة الى دوره المصيرى كما قلتم ، وثانيها الروتين الراسخ والتمسك الملح بجمالية الكتابة اليدوية ، وثالثها عدم وجود هيئة مسؤولة فى بلداننا عن السهر على إصلاح الطباعة العربية وفرض الحروف الجديدة ومنع دخول الحروف القديمة كما نفعله الآن فى المغرب ، ورابعها عدم توفرنا على وسائل التعريف بأهمية الموضوع على نطاق واسع شامل ، وخامسها رفض الصانعين الاجانب لنقل هذه التقنيات الى بلداننا العربية ما دام الاقبال عليها قليلا . واذا كان الاقبال عليها قليلا فذلك للاسباب السابقة الذكر وهكذا دواليك أى هناك دائرة مفرغة لا أدرى كيف يكون الخروج منها . فان سمحتم فتفضلتم مشكورين أن نبحث معا فى هذه المواضيع « المصيرية » عن الحلول الناجعة بفتح باب خاص من أبواب مجلة «الفكر» ليسخر الفكر العربى طاقاته الواسعة لدراستها فستكونون بذلك أسديتم للمثقفين العرب أنفس خدمة فى نظرى ألا وهى توعيتهم بخطورة وضع لغتنا بالنسبة الى اللغات التكنولوجية الاخرى لما تفتقر اليه من أدوات أساسية لم نوفرها لها بعد منذ أن اصطدم العالم العربى بالحضارة المعاصرة .

وتفضلوا أخى بقبول فائق الاحترام والتقدير والمحبة الخالصة .

الفكر : ونحن إذ نشكر الاستاذ أحمد الاخضر غزال على توضيحه هذا نوافقه على فتح صفحات المجلة للتعليق على هذا الموضوع ودعوة القراء الكرام للمساهمة فيه حتى يمكن للغة الضاد أن تخطو الخطوات الكفيلة بترقيتها .

توضيح حول رسالة الاستاذ ابراهيم السامرائي من بغداد

قرأت بكثير من العجب الرسالة التى نشرتها مجلة « الفكر » فى عدد جانفى 80 للدكتور ابراهيم السامرائى تحت عنوان «رعى الله أياما بتونس إنها»

لقد أثار الاستاذ السامرائى فى رسالته بعض الذكريات عن اقامته بتونس في أوائل الستينات عندما كان « مدرسا في كلية الآداب » وقد جاء فيها قوله :

« قد يعجب القارىء ان قلت له : إنى حللت فى كلية الآداب ولم أر مسؤولا ولا عميدا ولا أحدا آخر » .

ان هذا القول يثير حقا عجب القارىء . فكيف يتسنى لمدرس أن يحل بكلية دون أن يرى عميدها أو مسؤولا عن سيرها ؟ ولكن الجواب يأتى على لسان الاستاذ السامرائى نفسه اذ يقول : « لقد أعطونى جدولا بمحاضراتى في الكلية وهى ثلاث أقضيها فى يومين ... » فمن الذى يا ترى أعطى الاستاذ السامرائى ذلك الجدول حتى يستطيع مباشرة عمله؟ألم يكن أحد المسؤولين بكلية الآداب؟

لقد كان الدكتور ابراهيم السامرائى يتردد – كغيره من الاساتذة – على مكتبى بالكلية عندما كنت كاتبا عاما بها . وبحكم هذه المسؤولية كنت أقدم له ما كان يحتاج اليه من ارشادات أو وثائق وبيانات تساعده على القيام بعمله فى أحسن الظروف . فهل نسى الاستاذ السامرائى ذلك ؟

ولعله من المفيد أن أذكره أيضا بأننى رافقته يوما الى مكتب الاستاذ أحمد عبد السلام فى زيارة عمل وقد كان الاستاذ عبد السلام فى ذلك العهد يشغل خطة نائب رئيس الجامعة التونسية . ولم يكن هنالك عميد لكلية الآداب اذ كانت الجامعة اذ ذاك فى خطواتها الاولى إثر صدور النصوص التنظيمية لهياكل الجامعة فى جانفى 1963 بعد زوال « معهد الدراسات العليا بتونس » التابع لجامعة باريس وبعث الجامعة التونسية .

كانت تلك الفترة من تاريخ الجامعة التونسية مليئة بالصعاب والعقبات فى طريق تخليص الكيان القومى من كل هيمنة استعمارية وكانت السياسة التونسية تسعى للحصول على الأهم قبل المهم منتهجة فى ذلك طريقة المراحل بحيث نغض الطرف أحيانا ولحين من الزمن عن بعض الجزئيات الثانوية أو الهامشية . فلا نترك الجهود تتشتت فنضعف فى طلب الجوهر .

فلعل هذا ما لم يشعر به مليا الاستاذ ابراهيم السامرائى – الذى قضى بيننا سنة جامعية كاملة – فتحدث فى رسالته عن « قوائم أسماء الطلاب مكتوبة بالحرف اللاتينى ... » وعن اعلانات ووثائق محررة باللغة الفرنسية .

ورغم تلك الصعوبات المؤقتة والمرتبطة بطور تاريخى له مقتضياته فالجامعة التونسية كانت ولا تزال معتزة بأصالتها وبانتسابها الى بلد عريق فى الحضارة والعروبة وقد استرجعت اللغة العربية فيها.بعد فترة قصيرة المكانة اللائقة بها.

حسين عليه

الكاتب العام السابق – لكلية الآداب بتونس –

أضواء الفكر

● **محمد مزالى وكتاب « فى دروب الفكر » :**

جاء فى الصباح بتاريخ 22 / 2 / 1980 بامضاء صديقنا صالح الحاجة معلقا على كتاب فى دروب الفكر ما يلى ::

« ما زال محمد مزالى يواصل السير فى دروب الفكر ،،، انه لم يتوقف أبدا منذ ان بدا مسيرته الواضحة التى تؤمن بشرف الانسان كأقوى وأعظم ما يكون الايمان .

ورغم مهامه الكثيرة ومشاغله المتنوعة فانه لم يترك القلم ولم يتخل عن أداة الكتابة ،، انه ما زال يقرأ ويكتب ،، يقرأ الصحيفة اليومية مثلما يقرأ أحدث كتاب صدر فى هذا او ذاك من الاقطار العربية ،، أو فى باريس ،، ويكتب عن أحداث عصره ،، ومشاغل انسان هذا العصر الذى تتقاذفه موجات القلق والحيرة والشك فى الكثير من القيم التى استقرت فى حياة الاقوام منذ ازمات بعيدة .

وانت حين تقرأ لمحمد مزالى تدرك ان الرجل لا يكتب للكتابة أولا ،، ولا يكتب من فراغ ،، انه يكتب ليعبر عن رأى ما ،، موقف ما ،، ويكتب بحرارة وتدفق لانه لم ينقطع عن القراءة والتفاعل مع هذاالعالم .

وكتابه الجديد « فى دروب الفكر » الذى اصدرته الدار العربية للكتاب يقول ذلك بمنتهى الوضوح ،، انه يقول : إن مزالى يتفاعل مع عصره تفاعل انسان له ذهن متقد ،، وضمير حى ،، وعقل مفكر ،،

ان الكتابة عند مزالى ليست لعبة استهوته فأخذ فى ممارستها ليرضى فى داخله نزوة عابرة ،، انها وظيفة كاتب مسؤول ،، أو مفكر اصطدم مع عصره فاتخذ من الكتابة وسيلة للتعبير عن هذا الاصطدام والالتحام فى نفس الوقت مع هذا العصر لمحاولة الاسهام فى بناء انسان عربى جديد يعتمد على قدراته وذاته ليصل الى تلك الاحلام التى تملأ رأسه .

وفى كتابه الجديد يتوجه محمد مزالى الى القارىء فيقول له عبر مقدمة قصيرة :

لقد حاولت ، يا قارئى الكريم ، أن أطرح بين يديك قضايا هى قضاياك ، وان أثير مشاكل هى مشاكلك ، وأن أجابه متناقضات هى متناقضاتك ، وأن

أواجه تساؤلات هي تساؤلاتك ، وأن أقف من الوجود مواقف دعوتك الى التفكير فيها بكل جد ، ورجوتك امعان النظر في ابعادها بكل صبر ومعالجتها بكل شجاعة !

ولقد كان ديدني في كل ذلك أن أكون معك صريحا ، اذ كنت أطمح بآمالي الى أن أفيد قومي وشباب بلادي وأن أعرض عليهم مآسينا وقضايانا عارية كيوم الحساب وأن أصدع بما أعتقد الحق غير مكتف بعرض القضايا دون حلولها ، بل كنت أدعو الى اعمال الفكر وايثار الصدق والاعتبار بما يجري في غير دارنا ،، وهل التفتح شيء آخر غير الاعتبار أساسا بما يقع حولنا في ظروف حياتية تشبه ظروفنا ؟ » .

وكعادة محمد مزالي في جميع مواقفه وأفكاره وكتاباته فهو منحاز انحيازا كاملا للانسان ،، فالثروات الطبيعية ـ كما قال في كتابه الجديد ـ ومعها الامكانيات الاقتصادية وان كانت ضرورية فهي غير كافية ولا هي موجهة دائما نحو الخير والعدالة والمساواة والسلم انما الانسان هو المسؤول وهو في نفس الوقت الغاية والوسيلة معا : من أجله وجب بناء حصون السلام وفي سبيل سعادته وكرامته وتقدمه وجب النضال المستمر والاستميت من أجل العدل والمساواة والحرية ولكنه هو القادر وحده على تغيير ما به من التخلص من أنانيته وغروره وجهله وحب السيطرة والتفوق على أخيه الانسان ،، بفضل الاجتهاد الذاتي والمعاناة النفسية واكتساب التواضع والقدرة على وضع النفس و « اليقينيات المسلم بها » والعادات الموروثة ،، موضع الشك والتقديم المتجدد ، وكلها تعنيها عبارة « الثورة الثقافية » التي أصبحت اليوم رائجة رواجا كبيرا منذ استعمالها من طرف الزعيم الراحل « ماوتسي تونغ » قصد خلق الانسان الصيني الجديد ، وقد عناها منذ 14 قرنا وعبر عنها أروع تعبير القرآن الكريم في هذه الآية « لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » بل ان الآية الكريمة ابلغ دلالة وانبل مقصدا واوسع ابعادا لانها تذكرنا بأن تحرير الانسان لا يكون ذاتيا وبواسطة التربية والتثقف ، طالما ان الفكر ليس مجموعة مفاهيم وتصورات وارهاصات ونظريات تتسرب بالتطعيم والشعارات وتفرض بالاساليب التسلطية والوصاية العقلية ، فتصب صبا في الذهن وتلقن تلقينا وتردد دون فهم ولا وعي ، وانما يسمو الانسان ويتحرر مما هو فيه ومما حوله بالقدرة على الفهم والوعي والاقتناع والايمان وهو عمل يتحمل فيه كل فرد مسؤولية وتتحمل فيه المجموعات الوطنية والاممية مسؤولية كبرى كذلك » .

● **الطيور المهاجرة :**

هذه مجموعة شعرية أهدانا الشاعر الفلسطيني اسماعيل أبو شقرة نسخة منها نشكره على هديته ونتمنى لمجموعته الرواج .

● **الهارب من الزواج :**

هذه قصة للكاتب أحمد العش وهي كما قدمها صاحبها « قصة طويلة مشوقة جمعت بين المضطهد من أجل هذه الارض والمضطهد من أجل الزواج بمن يحب ! والهارب من زواج لا بد منه !!! هل سيكون الحق الى جانب العمل والنضال والصبر أمهو الى جانب الهروب والاستسلام ؟ » .

● **علم الطاقة الحياتية :**

أهدانا الاستاذ : الشاذلي الساكر كتابه الجديد : علم الطاقة الحياتية وهو مطبوع على نفقته ويحتوى على 220 صفحة نشكره على هديته ونتمنى لكتابه الرواج (الكتاب باللغة الفرنسية) .

● **الوفود الدستورية :**

صدر عن الدار التونسية للنشر باللغة الفرنسية كتاب الوفود الدستورية بباريس أو « القضية التونسية » في العشرينات للسيد محمد دباب . وهو عبارة عن نصوص ووثائق مرتبة ومعلق عليها للفترة التي ظهر فيها الحزب الحر الدستوري التونسي .

● **القرآن ... ونظرية الفن :**

صدر عن دار آتون بالقاهرة كتاب القرآن .. ونظرية الفن للشاعر حسين على محمد والكتاب يجيب عن السؤال الآتي : « ماذا يقدم القرآن في نظريته للفن » وهو « مدخل الى الفن الاسلامي وقد اشترك به صاحبه في مسابقة نظمتها « دار البحوث العلمية في الكويت عام 1976 » وفاز بالجائزة الاولى وقد القى هذا البحث في المؤتمر الاول للشباب الاسلامي عام 1397 هـ بالسعودية .

نشكر المؤلف على هديته ونتمنى لكتابه الرواج .

● **مجلة الهداية :**

صدر العدد الرابع — السنة السابعة من مجلة الهداية وهي مجلة ثقافية اسلامية تصدر بتونس عن ادارة الشعائر الدينية بالوزارة الاولى. وقد جاء هذا العدد حافلا بالمقالات والدراسات وخاصة ما يتعلق بمهرجان جامع الزيتونة هذا الى جانب الابواب القارة للمجلة .

● **أدباء وشعراء يفوزون بجوائز الدولة :**

إثر اجتماع اللجنة الفنية المختصة للنظر فى المؤلفات التونسية الصادرة سنة 1978 والمرشحة لنيل جائزة الدولة التشجيعيـة أعلنـت وزارة الاعـلام والثقافة عن الفائزين بجائزة الدولة الآتية أسماؤهم :

1 ـ فى ميدان الدراسات التاريخية والجغرافية المتعلقـة بتـونس والمغـرب العربى فـاز بـ 1000 د الدكتـور : **الحبيب الجنحانى** لكتابه « المغـرب الاسلامى . الحياة الاقتصادية والاجتماعية » .

2 ـ فى ميدان تحقيق المخطوطات فاز بـ 1000 د الاساتـذة : **الحبيب الفقى وابراهيم شبـوح ومحمد اليعـلاوى** لتحقيقهـم المشتـرك « المجـالس والمسايرات » .

ـ وفاز بـ 500 د الاستاذ : **رضا السويسى** لكتابه « مثلثات قطرب » .

3 ـ **فى ميدان** الدراسات فى العلوم الاجتماعية فـاز بـ 1000 د الاستـاذ :

أحمد عبد السلام لكتابه « دراسات فى مصطلح السياسة عند العرب » .

ـ وفـاز بـ 500 د الاستاذ : **على الشابى** لكتابه « مباحث فى علم الكـلام والفلسفة » .

4 ـ فى ميدان الدراسات فى العلـوم الصحيحـة فـاز بـ 500 د الاستاذ :

أحمد الفانى لكتابه « مياه ومعادن » .

5 ـ فى ميدان الدراسات فى الادب واللغة والحضارة فـاز بـ 500 د الاستاذ : **محمود طرشونة** لكتابه « الادب المريد » .

ـ وفـاز بـ 500 د الاستاذ : **محمد صالح الجابرى** لكتابه « دراسـات فى الادب التونسى » .

6 ـ فى ميدان الاعمال المبتكرة فى القصة والمسرح فـاز بـ 500 د الاستاذ : **عبد القادر بلحاج نصر** لمجموعته القصصية « البرد » .

ـ وفـاز بـ 500 د الاستاذ **مصطفى الفارسى** لكتابه « حركات » .

7 ـ فى ميدان الاعمال المبتكرة فى الشعر فـاز بـ 250 د الشاعر : **حميـده الصولى** لديوانه الثانى « صوتى مقلوع الأظافر » .

ـ وفـاز بـ 250 د الشاعر : **الصادق شرف** (أبو وجدان) لديوانه الاول « شواطىء العطش » .

8 ـ فى ميدان الدراسات والاعمال المبتكرة بغير اللغة العربية فاز بـ 1000 د الدكتور : **محمد عزيزة** لديوانه الشعرى

● العقل والوجود الانسانى :

من آثار الفيلسوف كـارل ياسبرز 1883 / 1969 كتابه « مصيـر وهـدف التاريخ وكتاب « **العقل والوجود الانسانى** » الذى يعالج فيه المؤلف : عـلاقة العقل بنفسية الانسان الذى جوهره الزمن والتجاوز من الحالة التى هو عليها، وقد ترجم هذا الكتاب الى الفرنسية وصدر أخيرا بباريس .

● حب فى المدينة العتيقة :

هذا عنوان الكتاب الذى صدر للقصاص محمد بن عاشور عن دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع بتونس . وهذا الكتاب يضم قصة ذات عشرين فصلا كتبت فيما بين 75 و 79 . ذات أسلوب روائى قصير النفس .

كما صدر لنفس المؤلف عن الدار نفسها . كتاب ثان تحت عنوان « **يا قوم لا تتكلـوا !** » يحتوى على 19 قصة تتميز بالقصر الى حد « النفحة » وتنويع المواضيع وواقعيتها .

والملاحظ أن كلا الكتابين يتراوح عدد صفحاته بين 50 و 60 صفحة من الحجم الكبير وقد هدانا المؤلف نسخة من كل كتاب نشكره ونتمنى لـه مزيـدا من التقدم والعطاء القصصى المتواصل الذى يعالج فى واقعيـة مبسطـة مشاكل مجتمعنا النامى .

● الارض عطشى :

هذا عنوان مجموعة الاستاذ سـوف عبيـد التى صدرت أخيرا بتونس على نفقة المؤلف ذات حجم صغير . وقد أهدانا المؤلف نسخة من كتـابه نشكـره ونرجو له مزيدا من التقدم الفنى وتطلعا الى شعر عربى أصيل .

● القرشى .. شاعر الوجدان :

هذا عنوان مؤلف قيم عن الشاعر الحجازى « حسين عبد الله القرشى » فى طبعته الثانية صدر عن « مطابع سجل العرب » القاهرة . وقد أهدانا مؤلفه الاستاذ عبد العزيز الدسوقى نسخة من هذا الكتاب مع كتيب صغير يحمل رقم « 31 من سلسلة **كتابك** » وهو مدخل الى العالم الشعرى للشاعر محمود حسن اسماعيل .

شكرا للاستاذ الدسوقى على هديته ونرجو له مزيدا من هذه الاعمال التحقيقية الجليلة فى ميدان دراسة الادب المشرقى وأملنا أن يجود بلفتة كريمة لدراسة أخيه **الادب المغربى** .

● **هدم اللغة العربية .. لماذا ؟! :**

ما زالت تصدر « دار آتون » القاهرة كتبا أدبية غير دورية . وقد وصلنا أخيرا كتاب صغير الحجم يحمل عنوانا « هدم اللغة العربية .. لماذا ؟! » هدية من مؤلفه الاستاذ ابراهيم سعفان ، نشكره ونرجو له مزيدا من التوفيق فى بحوثه الادبية .

● **آلة رقن من اختراع مغربى ذات حروف عربية مشكولة :**

استقبل الاستاذ محمد مزالى وزير التربية القومية المكلف بتنسيق عمل الحكومة لدى رئيس الجمهورية عشية يوم الاربعاء 19 – 3 – 1980 السيد محمد التازى سفير المغرب الاقصى الذى قدم له راقنة من اختراع مغربى ترقن الحروف العربية مع شكلها .

● **أنا الطفل ... :**

هذا القصيد من تأليف الشاعر عبد الحميد البرهومى وقد تلاه طفل بمناسبة أسبوع الطفولة الذى نظمته التفقدية الجهوية للتعليم الابتدائى بالقصرين فى ما بين 15 و 22 ديسمبر 1979 ، أثناء حفل الاختتام الذى أشرف عليه **السيد** محمد مزالى وزير التربية القومية .

أنا الطفل يا قومى أتيت بعالم	أرى فيه نفسى كالنبى وأجهل
أنا الطفل لا تنسوا بأنى قادر	على أن أكون ما أريد وآمل
لقد ظن بعض القوم أنى عاجز	وغر صغير ، لا أحس وأعقل
يريدون منى أن أكون وعاءهم	يصبون فيه كل شىء فيقبل
وأحمل أسفارا وأجهل كنهها	كجحش حمير فوق ظهرى تحمل
وقد غاب عن تلك العقول بأنى عبـ	ـقرى أنا فيما أقول وأفعل
لقد قيل : انى والد لكبيركم	وان كنت طفلا ، لا بسنه يحفل
سوى ان قدرى لا يقاس باشهر	ولا يرتجى طول السنين العاقل
فـذا العالم اليوم أقر بقيمتى	وخصص عام للطفولة ، كامل
نسيتم بأن الطفل عالم عصره	كـذا فيلسوف دائما يتساءل
فهلا عنيتم بى وصحبى فاننا	رجال غد اذ يرتجينا المشغل
أردد أقوال « المعرى » بجرأة	فأقواله تشفى الغليل وتثمل :
(وانى وان كنت الاخير زمانه	لآت بما لم تستطعه الاوائل)

● **حفل تكريم الشاعر الصادق شرف :**

بمناسبة صدور الديوان الثالث « **حروف تجر الفعل الماضي** » للشاعر **الصادق شرف (أبو وجدان)** أقامت دار الثقافة بجبل الجلود حفل تكريم له وذلك مساء يوم السبت 22 مارس 1980 وقد اتسم هذا الحفل ــ الذى حضره عدد من الشعراء والادباء وجمهور من أحباء الشعر ــ بصدق العواطف وحرارة المشاعر . نبارك هذه البادرة وننوه بجهود المشرف عليها الاستاذ أحمد عامر .

● **الندوة حول المجلات بالحمامات :**

كنا ذكرنا فى العدد السابق الكلمة التى ألقاها الاستاذ رشاد الحمزاوى مدير المركز الدولى بالحمامات عندما قدم الاستاذ محمد مزالى مدير مجلة «الفكر» وهذه الكلمة التى قدم بها الاستاذ محمود المسعدى :

« يا سيدى تذكرنى ذاكرتى أنك تمثل جيل ثورة قد ثارت على التقاليد فى عصر كان يحتاج الى من يجد مخرجا لشخصية تونسية تتخبط فى ظلمات الجمود والاغلال .

يا سيدى أخبرنى أهل الاخبار بما قمت به وصحابتك فى ارساء أسس الثقافة العربية الاسلامية دون ان تكون تقليدا مجنونا . يتكلم الناس اليوم عن الثقافة ومشاغلها ومباحثها ولقد توليت أمورها والساعد ضعيف والقلوب فارغة . يتكلم الناس اليوم عن التجديد فى الادب ومعانيه وعن اللامعقول والسد وحجارته وآياته جاءت أسطورة عربية لم تنتظر أن تهب عليها ريح الغرب بلا معقوليتها وخارق عوائها .

وسرورنا اليوم أن نستقبلك لتعيد الى اذهاننا جهادا ثقافيا ما زالت فروعه فى السماء » .

● **أمسية شعرية تنظمها الجامعة العربية بتونس :**

بمناسبة الاحتفال بالذكرى الخامسة والثلاثين لتأسيس الجامعة العربية . أقيمت فى المسرح البلدى مساء السبت 22 ــ 3 ــ 1980 أمسية شعرية حضرها الأستاذان محمد مزالى والشاذلى القليبى وجمهور كبير من المثقفين العرب .

وقد شارك فى هذه الأمسية كل من الشاعر نزار قبانى ومحمود درويش وحسين خريس وجعفر ماجد والشاذلى عطاء الله وحسن عبد الله القرشى .

● **العلم والتعليم :**

صدر العدد الجديد : 42 س 5 من مجلة العلم والتعليم التى يديرها الاستاذ أحمد الشرفى وقد جاء فى ركن « **رسالة المجلة** » تحت عنوان « ما هو العلم ؟ وما هى لغته ؟ » قوله : فمتى يكف « قوم تبع » عن ترديد شعار « العلم بلغة العلم للحاق بركب الحضارة » ؟

حيث يرى الاستاذ الشرفى : أن العلم ليس له لغة . فكل اللغات يمكن أن تكون لغة علم اذا كان أهلها يؤمنون بها . وليعد من يريد الاطلاع على جوانب

هذه القضية الى مجلة العلم والتعليم ليكون على بينة من الأمر .

● **الصحافة الادبية بتونس من سنة 1904 الى سنة 1955 :**

هذا كتاب ثمين أهدانا إياه الدكتور الصديق جعفر ماجد وهو باللغة الفرنسية ومن منشورات الجامعة التونسية قدمه الشاعر جعفر ماجد لنيل دكتوراه الدولة . وهو عمل علمي جليل لهذه الفترة الطويلة الزاخرة بالمجلات وبالادب ونقده . وقد مكننا الدكتور ماجد من حصيلة كبيرة من المعلومات حول الحياة الادبية وهو عمل ضخم تطلب العناء الطويل والصبر الشاق فى مادة لم ينل منها اصحابها دائما العرفان والتأثير المرجو ولعل ذلك ما جعل خاتمة الكتاب فيها شيء من التشاؤم حيال مستقبل الكتاب والعمل الادبى وخاصة المجلة الادبية . ونحن نهنيء مرة أخرى الدكتور جعفر ماجد على أنه توصل الى طبع أطروحته بسرعة كبيرة نسبيا ونتمنى له اطراد الانتاج والنشر.

● **إنها حياتك يا أختاه :**

هذا كتاب للكاتبة بلقيس الحومانى طبع بقطر وهو بحث اجتماعي يتناول مواضيع تتعلق بحياة المرأة كزوجة وكأم وعاملة وربة منزل . نشكر للكاتبة هديتها ونتمنى لكتابها الرواج .

● **شموكين :**

هذه مسرحية شعرية أصدرتها مجلة فنون العراقية من تأليف معد الجبورى. وشمس شموكين أحد أبناء اسرحدون ملك بابل .

● **ورد الى المجلة :** ديوان محمد الشرفى الصفاقسى تحقيق وتقديم محمد محفوظ (الدار التونسية للنشر) . فى عيون الليل شعر محمود عارف (جدة) . مدائن صالح لمحمد عبد الحميد مرداد (جدة) .

● **العصفور يصرخ في البرية :**

هذه مجموعة شعرية أهدانا اياها الشاعر المصرى حمدى متولى صالح وهى من منشورات دار مجلة الثقافة فى دمشق . نشكر الشاعر على هديته .

● **ندوة حول النقد الادبي بتونس :**

نظم المركز الدولى للجامعات الذى يديره الدكتور الصديق رشاد الحمزاوى ندوة حول النقد الادبى بتونس شارك بها عدد كبير من النقاد والادباء والكتاب والاساتذة وقد تحدثت الصحافة بأنواعها عن هذه الندوة وهى عمل جليل شأنه أن يترك أثرا فى الساحة الادبية فتهانينا للدكتور الحمزاوى ولكل من ساهموا فى هذه الندوة .

● **اللسان العربى :**

صدر عن مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى بالرباط المجلد السادس عشر ــ الجزء الاول والثانى وهو يحتوى على ابحاث ودراسات ومعاجم .